من
تراث إخوان الصفاء

جامعة الجامعة

تحقيق وتقديم
عارف تامر

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان



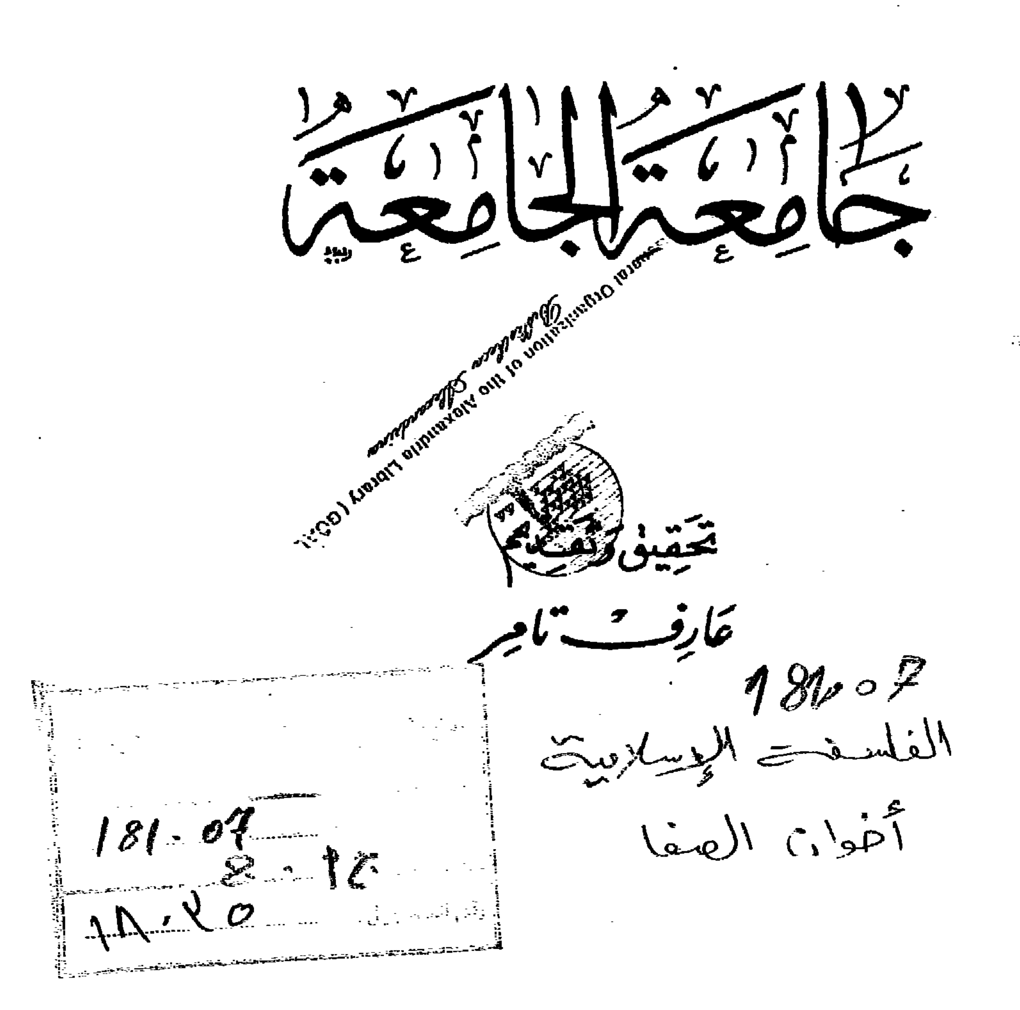
جامعة الجامعة



من

تراث اخوان الصفاء

جامعة الجامعة



تحقيق وتقديم

عارف تامر

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

مقدمة

الطبعة الثانية

كنا بالأمس على يقين ، حينما قلنا بأن جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء (١) لغز مبهم في التاريخ الاسلامي صعب حلّه ؛ وسر من اسرار العقائد الباطنية عسر فهمه ؛ وكنز فكري ثمين أغلقت الابواب دونه ، وتضاربت الاقوال فيه ، وتشعّبت الابحاث حوله ، حتّى اصبح مثاراً للجدل والتخمين بين العلماء والباحثين ، ومحلا للاستنتاج العقلي الذي قلما أدى إلى نتيجة تميط اللثام ، او إلى هدف ينير السبيل ، او يكشف عن الحقيقة المحتجبة وراء ستار كثيف من الكتمان . ولعلّ اخوان الصفاء تعمّدوا اخفاء اسمائهم عن عامة الناس حرصاً على حياتهم المهددة من ملوك ذلك العصر الذي عاشوا خلاله، ومبالغة في كتمان هدف رغبوا الا يصل الطالب إلى معرفته بسهولة ، وزهداً في شهرة كانوا يعتقدون انها زائلة ، وطمعاً في ثواب أمّلوا نيله .

---

(١) راجع بحثنا عن «حقيقة إخوان الصفاء وخلان الوفاء» منشورات المطبعة الكاثوليكية — بيروت — لبنان ١٩٥٨ .

أجل ... ليست دراسة موضوع اخوان الصفاء وخلان الوفاء من الامور السهلة في تاريخنا العربي وفلسفتنا الاسلامية ، فلقد لفت انتباه وأنظار فريق كبير من العلماء والباحثين والمستشرقين منذ بدء النهضة العلمية الحديثة ، وكان جميع الذين جالوا في مجاله الواسع مجمعين على القول : بأن رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء هي أغزر مادة فلسفية وأقوم حجة عقلية وأثمن تحفة فكرية ضمت بين دفتيها البديع والايجاز والحكمة والفنون من فلك وعدد وموسيقى وفن وهندسة ورياضيات وطب وأدب وتربية وعلوم اخرى انتجها العقل الاسلامي في عصر مبكر من عصور الاسلام ، وفي فترة كانت فيها الفلسفة ضرباً من الكفر والالحاد . وزادوا فقالوا بأن هذه الرسائل تمثل الرقي العقلي والتطور الفكري وتعتبر من اقدم المصادر في الفلسفة الاسلامية للتعبير عن الثقافة الواسعة والتبسيطات للمعضلات الفلسفية ، وأغنى موسوعة بالعلوم والآداب الناطقة بسهولة الاسلوب ومرونة الاستدلال .

لقد كانت اقدم دراسة مبكرة عن اخوان الصفاء المقدمة التي كتبها بالانكليزية في عام ١٨٣٧ المستشرق (توماسون) *T. T. Tomason* وقد ضمنها فصلا مقتطفاً من رسائل اخوان الصفاء سماه (تحفة اخوان الصفاء) وموضوعه : (تداعي الحيوانات على الانسان عند ملك الجن) ، وجاء بعده المستشرق (نوورك)

Nowork فنشر في عام ١٨٣٧ في برلين خلاصة وافية عن موضوع اخوان الصفاء مع ترجمتها للالمانية ، وتبعه المستشرق (ديتريصي) *Fredeireikh - Dietricis* فتعرض في عام ١٨٧٩ لبحث اخوان الصفاء في كتابه الذي صدر في برلين بثمانية اجزاء وعنوانه (العلوم الفلسفية عند العرب) ومن الملاحظ ان اعتماده في دراسته وعناصر موضوع بحثه تركز بالدرجة الأولى على رسائل اخوان الصفاء نفسها . وفي عام ١٨٨٦ ايضاً اصدر في برلين كتاباً سماه (خلاصة الوفاء في اختصار رسائل اخوان الصفاء) . ثم جاء (غولدزيهر) *Goldziher* فتناول موضوعهم ببحث موجز ظهر عام ١٨٨٨ في « هالي » *Halle* بالمانيا . وقد عرّف عنهم المستشرق (لان بول) *Lane - Poole* عام ١٨٩٣ ببحث طريف ايضاً . وفي عام ١٨٩١ ناقش (باربيت دي‌مينار) *Parbiet Dn Meinard* موضوعهم مناقشة علمية تاريخية ، اما (ويمر) *weimer* فأضاف إلى ترجمته لبعض الرسائل مقدمة جاء فيها عرض موجز لفلسفتهم . وفي عام ١٩٠٣ ظهر عنهم بحثان الاول : كتبه المستشرق (دي بوير) *De Boer* في لندن ، والثاني (ماكدونالد) *Macdonald.* وجاء (كازانوفا) *Casanova* فكتب عنهم في عام ١٩١٥ دراسة مفيدة . وحذا حذو من سبقه من العلماء والمستشرقين (ماسينيون) *L. Massicnon* . فأتى في عام ١٩٢٩ على ذكرهم عندما بحث موضوع « الصوفية في الاسلام وفلسفة الغزالي » ثم اضاف دراسة ثانية مستقلة عن

تاريخ وضع رسائل اخوان الصفاء . وكذلك فعل (تريتون) *A. S. Tritton* و (ايفانوف) *Ivanow* في العام نفسه ؛ والمستشرق (نيكولسن) *R. A. Nicholson* الذي اصدر عام ١٩٤١ بحثاً منفرداً عنهم في كامبريدج ، وكذلك فعل ايضاً (سترن) *S. M. Stern* فكتب دراسة مطولة عنهم اضافها إلى موسوعة دائرة المعارف الاسلامية في اكسفورد . وعند ذكر المستشرقين الذين بحثوا فلسفة اخوان الصفاء يجب ان لا ننسى (دي ساسي) *De Sacy* و (ستانيسلاس غويارد) *S. Guard* فكلاهما عالج الموضوع وجال في مجاله الواسع وخاض في بحره الزاخر .

هذا من ناحية المستشرقين . اما من ناحية الباحثين الشرقيين العرب فقد كان اول من عالج موضوع اخوان الصفاء العلامة المرحوم احمد زكي باشا . ثم ظهر للعلامة المرحوم محمد كرد علي دراسة عنهم في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . وبعد ذلك برزت في عام ١٩٢٨ المقدمة التي كتبها الدكتور طه حسين في الصفحات الاولى من الرسائل . وفي عام ١٩٤٥ كتب دراسة مطوّلة عنهم الدكتور عمر فروخ ، وتبعه الاستاذ عمر دسوقي ، ثم الدكتور حسين همذاني ، والدكتور عبد اللطيف الطيباوي ، وفي عام ١٩٤٨ عالج موضوعهم الدكتور عادل عوّا ، وفعل مثله الدكتور جبور عبد النور ، وجاء بعدهما الدكتور جميل صليبا فحقق ونشر رسالة « الجامعة » ويعتبر ايضاً الدكتور محمد

غلاب الذي كتب بحثاً عنهم في مجلة « المشرق » عام ١٩٤٥ ، والاب يوحنا قمير في العام نفسه ، والاب يوحنا الفاخوري عام ١٩٤٧ والاب نعمة الله العنداري ، ومحمد لطفي جمعة ، وعبد الحميد سامي بيومي ، وسليم الجندي ، والقس سليمان صائغ ، وقدري حافظ طوقان ، ومحمد يونس الحسيني ، واديب عباس. وعبد الرسول الحبشي ، وعبد الحميد مرسي ومحمد يحيى الهاشمي ، وعبد الحميد الدجيلي ، ومحمد كامل حسين ، من الذين خاضوا بحر هذا الموضوع . كل هذا بالاضافة إلى ما كتب عنهم في دوائر المعارف الدولية سواء البريطانية او التركية او الفرنسية او الروسية او الالمانية ... ومهما يكن من امر فلا يسعني وانا اردد اسماء هؤلاء العلماء والباحثين وفيهم ، ويا للاسف ، من قد اصبح في عداد الاموات الا ان انحني بخشوع امام ذكراهم الخالدة فهم قد تعبوا وجدّوا وخاضوا في مجالات الفكر الزاخرة بالعلوم والمعارف ، محاولين قطع سهولها الشاسعة المليئة بالظلال والانوار والخيرات ، راغبين سبر غور قضية هامة مستعصية ، والوصول إلى حقيقة محتجبة وراء سجف الغيب. وسواء أكتب لهم النجاح في مسعاهم او الفشل في مجهودهم فهم قد استحقوا الثواب والثناء وتقدير الفكر الانساني . وان واجبنا يدعونا ان نذكرهم بالخير وان نقدس هذه الذكرى العاطرة وان ننحني أمامها بصمت واجلال واحترام .

لقد سبق لي ان بينت في اكثر من دراسة كتبتها عن الموضوع الذي نحن بصدده انه لا يمكن للباحث في رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء مهما اوتي من علم وذكاء وفهم ، ان يفي الموضوع حقه وأن يسلك السبيل المؤدي إلى الهدف الأسمى والغاية المثلى ما لم يضع نصب عينيه المصادر الاسماعيلية التي تؤلف عنصر الموضوع والتي هي متممة له وذات ارتباط بفصوله وأبوابه وموضوعاته . وهذه المصادر جميعها كانت مفقودة وبعيدة عن متناول ايدي العلماء ، وان ظهورها من كهف تقيتها لم يتعد سنين معدودة وهذا هو عذر الباحثين الذين لم يقدر لهم الاطلاع عليها والتعمق في دراستها ومقابلة نصوصها الفلسفية ، وفي الحقيقة فعلى ضوء هذه المصادر نستطيع ان نقول بأن اخوان الصفاء وخلان الوفاء هم الاساس والدعائم التي شاد عليها الاسماعيليون بناء فلسفة عقيدتهم ، وأضيف على ذلك بالقول بأن هذه الفلسفة كانت اول بذرة فلسفية نمت وترعرعت في ظل الفكر الاسلامي وهذه بعض الادلة :

قال المستشرق كازانوفا *Casanova* :

« أؤكد ان آراء الاسماعيلية توجد كلها في رسائل اخوان الصفاء » .

وقال دعفروميري *M. C. Defromery* :

« ان زعيم الاسماعيلية سنان بن سليمان الملقب براشد الدين

تناول علوم الفلسفة وأطال نظره في كتب الجدل والخلاف وأكب على مطالعة اخوان الصفاء » .

وقال ماكدونالد *Macdonald* :

« يجب ان نكون على ذكر من ان الاسماعيليين ، لم يكونو عصابات من اللصوص تنشر الرعب بأساليبها الشنيعة ولكن كلا الفرعين الشرقي والغربي قد عكف على العلم وربما وجد في حصونهم الجبلية اشدانواع العناء في طلب العلم الصحيح ، وحينما استولى المغول على قلعة « ألموت » وجدوها غنية برسائل اخوان الصفاء » .

وقال الدكتور عبد اللطيف الطيباوي وهو ممن عالج موضوع اخوان الصفاء :

« لا أراني الا مصيباً في القول بأن فلسفة الاسماعيلية جميعها مبثوثة في رسائل اخوان الصفاء ، فعليه فمن الجور ان يرمى الاسماعيليون بالكفر والانحطاط الخلقي كما جاء في فتوى ابن تيمية » .

وقال المؤرخ اليمني الكبير ادريس عماد الدين المتوفي في عام ٨٧٢ هـ في المجلد الرابع من كتابه « عيون الاخبار » صحيفة٢٢٩:

(وقام الامام التقي « أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي

ابن أبي طالب » (١) بعد ابيه بأمر الامامة وبث دعاته في الافاق من « سلمية » واتصل به الدعاة ودعوا اليه وهم مخفون لمقامه كاتمون لاسمه ، وكان المأمون حين احتال على « علي بن موسى الرضا بن جعفر » ظن ان أمر الله قد انقطع وحجته قد ارتفعت، فحين ظن المأمون العباسي ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى في تبديل شريعة محمد وتغييرها ، وأن يرد الناس إلى الفلسفة وعلم اليونانيين ، فخشي الامام ان يميل الناس إلى ما زخرف المأمون عن شريعة جده فألف رسائل اخوان الصفاء) .

وذكر مؤلف « عيون الاخبار » ايضاً فهرست الرسائل على التمام فقال :

(هذه فهرست الرسائل التي ألفها الامام وقد جمع فيها انواع العلوم الفلسفية والهندسية ، وجعل « الجامعة » هي منها الغاية التي يتبين منها المراد ويتضح المعنى للمرتاد وقصرها على خلصاء شيعته وخيرة خاصته . وانما ألف الامام احمد تلك الرسائل لتقوم الحجة على المأمون واتباعه حين انحرفوا عن علم النبوة) .

وقال الفقيه اليمني الكبير « شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة » المتوفي عام ٨٣٤ هـ ، في رسالته الموسومة «الموقظة» :

(١) هذا الإمام هو الذي قام باتمام تصنيف كتاب الرسائل لأن والده « عبد الله ابن محمد » مات قبل أن يتسنّى له إتمامها . ويقال أن رسالة « الجامعة » هي من تأليفه .

«حتى همّ المتسمي بالمأمون ان يرد الامة إلى دين القول بالنجوم» وقال :

(ما جاء محمد إلا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى أظهر ولي الله وابن رسول الله رسائل اخوان الصفاء وفيها ما تحير به جميع العالم من العلوم في كل فن والاستشهاد على شريعة الرسول وهو في كهف التقية مستتر ودعاته الباقون مفرقون لتلك الرسائل في كل شهر وقطر) .

وقال السيد غلام احمد القادياني في رسالة «العسل المصفّى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفاء» ما يلي :

(ولما خشي السيد (احمد بن عبدالله) ان يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية إلى علوم الفلسفة ، ألف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الالهية والفلسفة والشريعة ...)

وجاء في كتاب « قلائد الجواهر » المصنف باللغة الفارسية في الصفحة السابعة والعشرين ما يلي :

(ان العلامة الفهامة (احمد بن عبدالله) هو مصنف اثنين وخمسين رسالة موسومة باخوان الصفاء) .

وقال الفقيه الكبير العلامة القاضي النعمان بن حيون المغربي التميمي في رسالته « المذهبة » صفحة ٧٢ ما يلي (١) :

---

(١)الرسالة المذهبة ضمّت إلى كتاب « خمس رسائل إسماعيلية » تحقيق عارف تامر- منشورات دار الإنصاف- بيروت- لبنان .

(ان الائمة المستورين وهم : عبدالله ، وأحمد ، والحسين ، والدعاة الاربعة مؤلفو رسائل اخوان الصفاء وهم : عبدالله بن حمدان ، وعبدالله بن سعيد ، وعبدالله بن ميمون ، وعبدالله ابن مبارك) .

وقال القفطي بكتابه تاريخ الحكماء :

(ولما كتم مصنفوها – اي الرسائل – اسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها فكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين ، وقوم قالوا هي من كلام بعض الائمة من نسل علي بن أبي طالب) .

وانتقل بعد هذا إلى ايراد مصدر من أهم المصادر عن اخوان الصفاء اورده المؤرخ (نور الدين احمد) المتوفي عام ٨٨٥ ه في بلدة (مصياف) بكتابه (فصول وأخبار) وهذا هو بنصه الحرفي:

(بعد ان اشتد الضغط على الامام السابع محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب خرج من المدينة إلى الكوفة مصحوباً بأخيه علي . وقد ظل فيها مدة من الزمن متستراً عن العيون بعيداً عن الارصاد حتى ولد له فيها ولد سماه « عبدالله » ومن الكوفة سار إلى الري واستقر عند احد دعاته السريين المسمى اسحق بن عباس ، وكان يشغل منصب حاكم الري من قبل العباسيين ، وبعد مدة من الزمن قال له اسحق : يا مولاي ان العباسيين قد بثوا العيون في كل مكان

وأخشى عليك منهم فان رأيت ان تخرج إلى الجبل وتعتصم بقلعة (نهاوند) عند تابعك منصور بن حوشد . فعمل باشارته وبعد ذهابه قبض العباسيون على اسحق وعذبوه عذاباً شديداً ويروى أنه مات تحت السياط دون ان يدل على مكان الامام ، ولما لم يعرف الرشيد من امره شيئاً ارسل القائد محمد الخرساني ومعه جيش كبير من الترك والكرد للتفتيش ثم القبض عليه ؛ فلما وصل إلى نهاوند دخل مسجدها فرأى الامام مسنداً ظهره إلى المحراب وبين يديه رجلان يعلمهما اصول الدين فلم يتمالك القائد نفسه حينما رأى عظمته وجلال هيبته من ان ينحني امامه ويقبل يديه ، ثم اعلمه سراً بضرورة سفره من « نهاوند » لان الرشيد يريد ان يقبض عليه إذا ما ظل فيها ، فخرج منها تحت جنح الظلام متستراً إلى بلدة (سابور) ومنها إلى (فرغانة) وبعد ذلك إلى « عسكر مكرّم » ، وهنالك نص على إمامة ولده عبدالله ابن محمد وبعد موته استلم الامامة ولده عبدالله في عام ١٦٩ هـ وازداد في التستر والخفاء وخرج سراً من (عسكر مكرّم) إلى (زامهر) ومنها إلى (الديلم) وهنالك تزوج بامرأة من الاسرة العلوية يسمى والدها الامير علي الهمداني ورزق منها ولداً سماه احمد ولقبه بالوفي . ثم ان دعوته انتشرت انتشاراً واسعاً واستجاب له خلق كثير العدد في بلاد العرب والعراق وفارس وسوريا ، ولكن الضغط اشتد عليه من قبل المأمون العباسي

فاضطر إلى مغادرة (الديلم) سراً قاصداً مدينة (معرة النعمان) قرب حلب وأقام فيها مدة ثم انه غادرها بعد ذلك إلى مدينة (سلمية) قرب حمص ومنها انتقل إلى بلدة (مصياف) ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها المسمى (مشهد) عام ٢١٢ هـ . وبعد ذلك استلم شؤون الامامة ولده محمد بن احمد الملقب (بالتقي) وقد كان سريع التنقل من المعرة إلى حماه إلى حمص إلى الشام إلى مصياف وغيرها من القرى السورية التي كان له فيها دعاة ينادون باسمه ويدعون له ، ولما علم بما آلت اليه الشريعة في عهد العباسيين من الانحطاط والضعف شرع بتأليف كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » مع دعاته الاربعة وهم امناء سره واعضاء مجلسه الاعلى الذين يعيشون بالكتمان الشديد والسرية التامة وهم :

عبدالله بن حمدان ، وعبدالله بن ميمون ، وعبدالله بن مبارك وعبدالله بن سعيد) .

وهذا مصدر آخر اورده العلامة الكبير (أبو المعالي حاتم بن عمران بن زهره) المتوفي سنة ٤٧٠ هـ في رسالته الموسومة « الاصول والاحكام (١) » قال :

(فلما انتقل محمد بن اسماعيل إلى دار البقاء تسلمها ولده

(١) هذه الرسالة قد ضمت إلى كتاب « خمس رسائل إسماعيلية » تحقيق عارف تامر منشورات دار الإنصاف بيروت ـ لبنان .

المستور (عبدالله بن محمدالرضي) وبعده « احمد بن عبدالله »
وهو الذي ستر نفسه عن الاضداد من اهل عصره المخالفين
لأن زمانه كان زمان فترة ومحنة وكان المتغلبون من ولد بني
العباس يطلبون من يشار اليهم حسداً وبغضاً لاولياء الله تعالى
فاوجب ذلك الاستتار المعروف للائمة وكنيت الدعاة باسمائهم
تقية عليهم مما هم فيه ، وتاهت فيهم اولو الضلال حتى قالوا
ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو « عبدالله بن ميمون
القداح » المعروف بقداح الحكمة وزيد الهداية وزعم البعض انه
عبدالله بن سعيد ؛ او عبدالله بن مبارك ، او عبدالله بن حمدان،
وان هؤلاء الاربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة
في شتى العلوم والفنون عددها اثنتان وخمسون رسالة) .

لا بد ان تكون هذه المصادر التاريخية كافية للتدليل على ما
سبق قوله بأن رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء تمثل الافكار
الاسماعيلية تمام التمثيل وانها ولا جدال من وضع الدعاة
الاسماعيليين الذين ذكرنا اسماءهم . وبعد هذا البيان لم يبق
اية قيمة تاريخية او علمية لما ذكره (ابو حيان التوحيدي) عن
زيد بن رفاعة ، والبستي ، والمقدسي ، والزنجاني ، والمهرجاني،
والعوفي ، الذين اعتبرهم ابو حيان وغيره من الباحثين للذين
ساروا على نهجه بأنهم مؤلفي للرسائل في القرن الرابع الهجري
والحقيقة فان هؤلاء قد عاشوا بعصر متأخر عن عصر اخوان

الصفاء الحقيقيين المؤسسين وهموإن يكونوا من الاسماعيليين الذين اتخذوا نفس الاسم ونهجوا نفس النهج الا أنهم ليسوا واضعي كتاب الرسائل . ومهما يكن من امر فلدينا دليل آخر يلقي نوراً ساطعاً على الموضوع : وهو ان الامام عبدالله بن محمد عندما وضع رسائل اخوان الصفاء جعل عددها (٥٢) رسالة لحكمة فلسفية وتأويلية كان يقول بها وتقضي بأن رسائل اخوان الصفاء دائرة علمية ناموسية حقيقية ، ويجب ان يكون في الدائرة الناموسية الدينية ، صورة لما في الدائرة العلمية ، كما وان في الدائرةالعلميةمعرفة ما في الدائرة الدينية الناموسيةولهذا جعل عدد الرسائل ٥٢ مطابقاً لعدد ركعات الصلوات الخمس وهذا العدد نفسه جاء مطابقاً لعدد حروف اسمه بحساب الجمل على هذه الصورة :

ع ب د ال ل ه ب ن م ح م د = عبدالله بن محمد
٤٢٧ ٥٣٣١ ٥٢ ٤٤٨٤ = ٥٢ (١) .

أما عن عدد ركعات الصلوات الخمس فهي احدى وخمسين ركعة كما جاء في الناموس ، ويدخل في عدادهم ركعتا الجلوس في صلاة العشاء ومقامهما مقام ركعة واحدة يصليها المصلي وهو جالس على ركبتيه ، فيصير المجموع احدى وخمسون ركعة ،

---

(١) راجع مقالتنا — الحروف الإسماعيلية واستعمالها في الجمعيات السرية (مجلة الحكمة عدد ١٢ سنة ١٩٥٦) بيروت — لبنان .

واما تفصيل ذلك فقد جاء بكتاب « دعائم الاسلام » للقاضي الفقيه « النعمان بن حيون المغربي التميمي » (١) كما يلي :

« جاء ان عدد ركعات الصلوات الخمس سبعة عشر ركعة فريضة واربعة وثلاثون ركعة سُنة مثليها .

وجاء ايضاً (٢) :

« وعن أبي جعفر محمد بن علي انه قال: لا ينبغي لرجل ان يدخل في صلاة حتى ينويها ، ومن صلى وكانت نيته الصلاة ولم يدخل غيرها قبلت منه إذا كانت ظاهرة او باطنة » .

وجاء ايضاً (٣) :

« وعن جعفر بن محمد ﷺ انه قال في قول الله عز وجل والشفع والوتر قال : الشفع الركعتان ، والوتر الواحدة التي تعينت فيها وقال : يسلم من الركعتين ويأمر ان شاء وينهي ويتكلم بحاجته ويتصرف فيها ثم يوتر بعد ذلك بركعة واحدة ، ويقنت بعد الركوع فيها ويجلس ويتشهد ويسلم ، ثم يصلي بعدها صلاة حتى يطلع الفجر فيصلي ركعتين الفجر » .

---

(١) دعائم الإسلام . ج(١) ص ١٦ .
(٢) » » » (١) ص ١٨٩ .
(٣) » » » (١) ص ٢٤٦ .

وجاء ايضاً (١) :

«وعن جعفر بن محمد ﷺ انه قال : ما احب ان اقصر عن تمام احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة . قيل وكيف ذلك ؟ قال:ستة ركعات قبل صلاة الظهر وهي صلاة الزوال وصلاة الاوابين حين تزول الشمس قبل الفريضة واربع بعد الفريضة وأربع قبل صلاة العصر ثم صلاة الفريضة ، ولا صلاة بعد ذلك إلى غروب الشمس ويبدأ في المغرب بالفريضة ويصلي بعدها ست ركعات ، ثم تأتي صلاة العشاء الأخيرة وهي اربع ركعات قبل الفريضة واربع بعدها ثم ركعتا الشفع ثم ركعة للوتر ثم ركعتان من جلوس تحسبان ركعة واحدة لغير العاجز .

لانا روينا عن رسول الله ﷺ انه قال : صلاة الجالس لغير علة على النصف من صلاة القائم ، وركعتا الفجر قبل صلاة الفجر فذلك اربع وثلاثون ركعة مثل الفريضة ، والفريضة سبع عشرة ركعة فصار للجميع احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة» .

كل هذا يؤيد ما ذهب اليه اخوان الصفاء الذين اعتبروا عدد ركعات الاوقات الخمس احدى وخمسون وأضافوا اليها (النية) التي لا يجوز ان يقدم الانسان على عمل شرعي دونها ،

---

(١) دعائم الإسلام ج (١) ص ٢٥٠ .

والنية المتممة للصلاة ممثول (الرسالة للجامعة) التي هي زبدة رسائل اخوان الصفاء والمتممة لهم .

وإنا إذا كنا قد انتهينا إلى هذا الموضع وأتينا على ذكر المصادر مؤيدة بالأدلة الدامغة والبراهين المعقولة عن اخوان الصفاء وحقيقتهم مما قاله العلماء والباحثون والمصادر المختلفة، فاننا نعود الآن لنورد بعض الأدلة التي تثبت انتسابهم إلى الاسماعيلية . فقد جاء بالرسائل ما يلي :

« اعلم ايها الاخ البار الرحيم ان لنا اخواناً واصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد فمنهم طائفة من اولادالملوك والامراء والوزراء الخ ... وقد ندبنا لكل طائفة منها احداً من اخواننا ممن ارتضيناه في بصيرته ومعارفه لينوب عنا في خدمتهم بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم الخ ... »

ألا يرى معي القارىء الكريم ان ما جاء به اخوان الصفاء وخلان الوفاء هنا لا يختلف تماماً عما ذكره الامام الفاطمي (المعز لدين الله) بكتابه المشهور المرسل إلى «حسن الاعصم» قائد جيوش القرامطة :

« فما من جزيرة في الأرض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ويدلون علينا ويأخذون بذمتنا ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا (١) »

(١) إتعاظ الحنفا ــ المقريزي ص ١٣٩ .

وجاء ايضاً (١) :

(وهذه الولاية المخصوصة لأهل بيت الرسالة عليهم السلام لا يحتاجون فيها إلى غيرهم ولا إلى علماء سواهم ولا يطلع الناس على اسرارهم ولا يعرفون سننهم في موتاهم . ولها علوم يتميزون بها وينفصلون عن العالم بمعرفتها واعمال يعملونها لا يشركون فيها غيرهم) .

وهذه ايضاً اشارة إلى العلوم الباطنية التي كثيراً ما حظر الائمة من أهل البيت على اتباعهم اذاعتها ونشرها الا على اهلها . وفي الكتب الاسماعيلية التي نشرت والتي لم تنشر للآن نرى نصوصاً زاخرة بهذه الالفاظ والتعابير . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان هذا المقطع يعطينا الدليل على ان واضعي رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء هم من دعاة الاسماعيلية الذين كانوا يعيشون في دور الستر الاول الذي يبتدىء من عهد « محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق حتى بدء الدولة الفاطمية في المغرب .

وجاء ايضاً (٢) :

« قيل يا رسول الله:من قال لا اله إلا الله دخل الجنة ؟فقال: نعم ... من قالها مخلصاً دخل الجنة.قيل له:وما اخلاصها ؟ قال :

---

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ٤ ص ٤٠٣ .

(٢) رسائل إخوان الصفاء ج ٤ ص ٤٨٦ .

معرفة حدودها وإداء حقوقها،فقيل يا رسول الله :ما معرفة حدودها وإداء حقوقها ؟ فقال : انا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد ما في المدينة فليأت الباب » .

لا أراني بحاجة إلى توضيح معنى هذا المقطع الذي لا شك انه جاء ذاخراً بالتعابير الباطنية وبما يعتقد به الاسماعيليون . وجاء ايضاً (١) :

« اعلم يا اخي باننا قد عملنا احدى وخمسين رسالة في فنون الاداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج لكيما إذا نظر فيها اخواننا وسمع قراءتها اهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ما هو مقرون بها من تفضيل اهل بيت النبي ﷺ لانهم خزانة علم الله ووارثوا علم النبوات تبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة » .

وهذا دليل قاطع يؤكد بان رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ذات رموز عسيرة الفهم وان امر تفسيرها ومعرفةاسرارها وتعاليم فلسفتها موقوف على الخاصة من شيعة مؤلفيها وضمير انا يعود إلى مؤلفي الرسائل انفسهم وهم ائمة الاسماعيلية المستورون ودعاتهم .

---

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ٤ صحيفة ٢٢٢ .

وجاء أيضاً (١) :

« اعيادنا ايها الاخ هي أشخاص ناطقة وأنفس فعالة تفعل بإذن باريها ما يوحيه اليها ويلهمها من الافعال والاعمال . فاليوم الأول من أيامنا والعيد الفاضل من اعيادنا هو يوم خروج اول القائمين منا ويكون اليوم الموافق لنزول الشمس برج الحمل لمجيء الربيع والخصب والنعمة ونزول الرحمة والظهور والانتشار وهو يوم فرح وسرور لنا ولجميع اخواننا . واليوم الثاني هو يوم قيام الثاني الموافق يوم قيامه يوم نزول الشمس اول السرطان في تناهي طول الليل وقصر النهار وكان فيه تصرّم دولةاهل الجور وانقضاءها وهو فرح وسرورانتشار.واليوم الثالث هو يوم قيام ثالثنا الموافق لنزول الشمس اول الميزان واستواء الليل والنهار ودخول الخريف وهي مقاومة الباطل الحق وكون الأمر على خلاف ما كان عليه . ثم اليوم الرابع يوم الحزن والكآبة يوم رجوعنا إلى كهفنا وكهف التقية والاستتار فيكون الأمر على مثل ما نحن عليه في وقتنا إلى وقت البروز ، والخروج والرجوع بعد الذهاب كرجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء إلى برج الحمل » .

التعاليم الاسماعيلية الفلسفية كما هو جلي وواضح لكل من درسها ووصل إلى معرفتها جميعها زاخرة بنصوص تشير إلى أن

---

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ٤ صفحة ٣٠٨ .

كل امام سابع يجمع قوى الأئمة الستة التي قبله لأنه يكون قائماً بالفعل بينما الأئمة الستة التي قبله فيكونوا قائمين بالقوة، ويكون أيضاً هو نهاية الدور ويسمى (أساس) أي أساس للأئمة الستة الذين يأتون بعده لانه يعتبر واضع الاسس والقضايا والاحكام وراسم للمناهج التي يجب ان يسير عليها هؤلاء الستة بعده، اما الامام الذي يأتي بعده وهو صاحب رتبة (الثامن) فيسمى ايضاً (قائم) لانه يكون الأول في الدور الجديد. وهنا يمكننا ان نقرر على ضوء هذه الفلسفة ان الامام (محمد بن اسماعيل) هو صاحب رتبة (السابع) وهو الأساس ومتم الدور ويأتي بعده الدور الثاني الذي ينتهي بالامام الفاطمي السابع «المعز لدين الله» وهو ايضاً اساس ومتم للدور. أما ما جاء بهذا الفصل عن الاعياد وترتيباتها فهذه دلالة على ان العيد الاول بعد الدور الثاني هو ممثول الامام الفاطمي (العزيز) نجل الامام «المعز لدين الله» وهو الذي انتصر على القرامطة ورد غزواتهم للاراضي المصرية. والعيد الثاني ممثول الامام «الحاكم بامر الله» الذي هدم دولة أهل الجور وهو العيد الثالث. واما الرابع فهو يوم الحزن والكآبة أي يوم ذهاب الدولة الفاطمية بوفاة الامام الفاطمي «المستنصر بالله» ووقوع الفتنة وذهاب الفرح والسرور وعودة الائمة إلى كهف الستر والتقية.

وجاء ايضاً (١) :

« اعلم يا اخي ان كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سماواته خلقهم الله لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته وهم خلفاء في افلاكه كما ان املاك الار ض هم خلفاء الله في ارضه » .

وهذه ايضاً تعاليم اسماعيلية ذات تأويل باطني يعرفها كل من درس هذا العلم . فالكواكب المشرقة هم الدعاة الذين يشرقون بالعلوم على الأتباع وعلى الكافة ، والسماء هي الشريعة أو عالم الدين او « الدعوة » التي ترسل مياه الأمطار لاحياء الأموات . والأمطار هي العلوم الالهية . والملائكة الذين يقيمون هذه الدعوة فهم حدود عالم الدين .

وجاء أيضاً (٢) :

« واعلم ان دولة أهل الخير يبدأ اولها من قوم علماء حكماء أخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً الا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضاً ويكونون كرجل واحد في جميع امورهم وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون»

لا أظن ان احداً ممن سبق له الاطلاع على تاريخ « الفدائية »

---

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ١ ص ٩٨ .

(٢) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٥٢٣ .

الأسماعيلية وانظمتها الاجتماعية وقوانينها الحربية في فارس وسوريا واليمن يحجم عن الاتفاق معنا بالرأي بان المدرسة التي وزعت هذه التعاليم وبذرت هذه البذور هي مدرسة اخوان الصفاء وخلان الوفاء .

وجاء ايضاً (١) :

« وقد نرى انه قد تناهت دولة اهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت افعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد الزيادة إلا الانحطاط والنقصان ولا بد من كائن قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا » .

وهذا بيان كاف ودليل واف فيه الدلالة على ان رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء قد وضعت في وقت كان فيه حكم دولة أهل الشر قائماً والمقصود بدولة أهل الشر « العباسية » التي كانت في ابان عزها ومجدها يومئذ . اما قولهم : « فلا بد من كائن قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا » فهذا تبشير في عهد الستر بظهور إمام من الفاطميين وقد دلت القرائن واكدت الدلائل ان الامام الذي كانوا يعدون الناس بظهوره هو (محمد المهدي بالله) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب .

وجاء أيضاً (٢) :

« ان من خواص اخواننا الفضلاء انهم العلماء بأمور الديانات

---

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ١ ص ١٣١ .

(٢) رسائل إخوان الصفاء ج ٤ ص ١٩٤ .

العارفون بأسرار النبوات المتأدبون بالرياضيات الفلسفية فاذا لقيت احداً منهم وآنست منه رشداً فبشره بما يسره وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه وانجلاء الغمة عن العباد بانتقال القران من برج مثلثات النيران إلى برج مثلثات النبات والحيوان في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان وظهور الاعلام » .

جميع هذه الظواهر الفلكية دلت على أن الامام العاشر كان في (سلمية ـ سوريا) فهو صاحب الأعلام الذي قام بتأسيس الدولة الفاطمية في المغرب وبظهوره جلاء الغمة عن المؤمنين وإعادة الطمأنينة إلى النفوس .

وجاء أيضاً بالرسائل :

« فصار ذلك سبباً لاختفاء اخوان الصفاء وانقطاع دولة خلاّن الوفاء إلى ان يأذن الله بقيام اولهم وثانيهم وثالثهم في الأوقات التي ينبغي القيام بها » .

وفي هذا المقطع ايضاً تظهر الاشارة إلى عهد الستر وانضواء ثلاثة من الأئمة وراء حجابه الكثيف مع بيان واف عن انتهاء هذا الدور بظهور أول أئمة دور الظهور وهو « القائم » ثم « المنصور » ثم « المعز لدين الله » .

وجاء أيضاً بالرسائل :

« ويروى عن النبي « ﷺ انه قال : من أخلص العبادة لله

اربعين يوماً فتح الله قلبه ، وشرح صدره ، وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجمياً غلفاً .. »

وجاء بالقرآن الكريم :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ... الخ »

وهنا لا بد لنا من ايضاح ناحية هامة تحتل المكان الاول في الاعتقادات الاسماعيلية وهذه الناحية هي تأويل كلمة « أربعين يوماً » التي يدل معناها بالتعريف الاسماعيلي الفلسفي الباطني على الاربعين حداً الذين تتكون منهم الدعوة الاسماعيلية الامامية في كل عصر وزمان ، هذا من جهة و من جهة ثانية فان معنى جملة : (من أخلص لله العبادة أربعين يوماً فتح الله قلبه وشرح صدره وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجمياً غلفاً) . انه يجب على كل من يرغب بالوصول الى المعرفة التي منها ينبثق فتح الصدر وشرح القلب وإطلاق اللسان بالحكمة والعبادة الفعلية الخالصة لله ... أجل ان على المستجيب الداخل إلى فناء الدعوة الفسيح الإنضواء تحت لواء الدعاة الاربعين الذين تتألف منهم الدعوة وأن يأخذ عنهم العلوم الامامية الفلسفية واحداً بعد الآخر بالترتيب إلى تمام الاربعين ، وعندئذ يكون قد وصل إلى المعرفة وتفيأ كل العلوم الشرعية والحقيقية والناموسية واستظل بظل الهدف المنشود ، ومهما يكن من أمر فلا بد من الاشارة بأن هذا البيان يؤيد ما ذهب اليه أكثر دعاة الاسماعيلية الذين جاءوا

بعد اخوان الصفاء وأخذوا عنهم العلوم والقواعد الفلسفية ومنهم الداعي الأجل «أبو يعقوب اسحق السجستاني» وقد ترى هذا الداعي الفيلسوف يضع كتاباً في الفلسفة يعتبر فريداً من نوعه ومن أقوم الكتب الباطنية على الاطلاق سماه «الينابيع» (١) وقسمه إلى أربعين ينبوعاً كل ينبوع مثلا على حد من حدود الدعوة الاسماعيلية الامامية الاربعين .

وجاء أيضاً بالرسائل :

«وقد ذكر الله تعالى نعت هؤلاء القوم في القرآن في آيات كثيرة وأثنى عليهم ومدحهم . ووردت عن النبي عليه السلام أخبار كثيرة في نعتهم وصفتهم وحسن الثناء عليهم ومن ذلك ما روى عنه ﷺ انه قال :

«لا يزال في هذه الامة أربعون رجلا من الصالحين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام» .

وجاء ايضاً (٢) :

«ويقال ان هؤلاء الاربعين رجلا أربعة منهم «الأبدال» . وانما سموا الأبدال لانهم بدلوا خلقاً بعد خلق وصفوا تصفية

(١) حقق هذا الكتاب المستشرق الكبير هنري كوربان *H. Corbin* وضمّه إلى كتاب «ثلاث رسائل إسماعيلية» من منشورات المعهد الأفرنسي للدراسات الإيرانية ـــ طهران .

(٢) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ .

بعد تصفية ، وذلك ان هؤلاء الأربعين منتقون من جملة اربعمائة من الزاهدين العارفين المحققين ، وهؤلاء الأربعمائة منتقون من اربعة آلاف من المؤمنين التائبين المخلصين ، وكلما مضى شخص من الأربعة قام في رتبته شخص من الاربعين ، وإذا مضى شخص من الاربعين قام في رتبته شخص من الاربعمائة ، وإذا مضى شخص من الأربعمائة ارتقى إلى منزلته شخص من الاربعة آلاف فبلغ مرتبته مقامه ، وكلما مضى شخص من الاربعة آلاف ارتقى مكانه بدلا منه واحد من المؤمنين التائبين المخلصين فبلغ درجته وقام مقامه . واليهم اشار أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله لكميل بن زياد : «اولئك الاقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً » .

كل هذه أدلة وبراهين مؤيدة للاعتقادات الاسماعيلية التي تنص بأنه لا يمكن لدعوة ما أن تقوم وان تظهر للملأ إلا بعد أن يبلغ عدد القائمين عليها الأربعين . وفي معنى آخر ان أي نبي من الانبياء لم يتيسر له القيام بدعوته إلا بعد بلوغه الاربعين من العمر . وقد جاء بالأخبار ايضاً ان الوحي لا يمكن ان يطرق الأنبياء إلا بعد أن يكونوا قد أكملوا الاربعين تماماً. أما الاسماعيلية فتأول هذه الأقوال بقولها ان الوحي لا يطرق النبي وان الدعوة لكل نبي لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تكتمل بأربعين داعياً .

وجاء أيضاً (١) :

« ان الله تعالى هو المبدع وبعده العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني ابسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى علام بالفعل ، وبعده النفس الكلية وهي جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعالة في الهيولى بالتحريك لها ، وبعدها الهيولى الأولى وهي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة فيه ، وبعدها الطبيعة الفاعلة وهي قوة من قوى النفس الكلية سارية في جميع الاجسام مدبرة لها وتسمى النفوس الجزئية او الملائكة ، وبعدها الجسم المطلق ذو الطول والعرض والعمق وهو الهيولى الثانية ، وبعدها عالم الافلاك وبعدها العناصر للسفلى كالنار والهواء والماء والأرض ، وبعدها المعادن والنبات والحيوان » .

وجاء ايضاً (٢) :

« فالعقل هو اول موجود أوجده الباري تعالى وأبدعه من غير واسطة ، ثم اوجد النفس بواسطة العقل ، ثم اوجد الهيولى وذلك ان العقل جوهر روحاني فاض من الباري عز وجل وهو باق تام كامل . والنفس جوهرة روحانية فاضت من للعقل وهي

---

(١) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ج ٣ ص ١٩٨ .

(٢) رسائل إخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٨ .

باقية تامة غير كاملة ، والهيولى الاولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل » .

هذا هو ترتيب عالم الابداع لدى اخوان الصفاء كما جاء برسائلهم ويقابل هذا العالم عوالم ثلاث كل واحد منها ممثول للاثنين الآخرين وهم: عالم الاجرام وعالمالاجسام وعالم الدين. ومهما يكن من أمر فان جميع دعاة الاسماعيلية الذين دونوا الكتب الفلسفية بحثوا هذا الموضوع بحثاً دقيقاً رائعاً وفصّلوه تفصيلا بديعاً . واني اؤكد بانه لم يخرج احداً منهم عن هذا الترتيب . وان ما تركه المؤيد في الدين الشيرازي (داعيالدعاة) ومنصور اليمن ، والقاضي النعمان ابن حيون المغربي ، وأبو يعقوب السجستاني ، واحمد حميد الدين الكرماني ،وابو حاتم الرازي ، والنخشبي ، والنسفي ، من اثار فلسفية لشاهدة على ما ذهبنا اليه . فاخوان الصفاء قالوا عن الموجود الاول انه العقل الفعال وايدهم في ذلك المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) اما الكرماني فقد اطلق غليه اسم العقل الأول وسماه السجستاني السابق وقال غيره العقل ، واطلق عليه بعض الدعاة الموجود الاول او الكاف . أما النفس الكلية كما سماها اخوان الصفاء فقد اطلق عليها الكرماني اسم المنبعث الاول وجاء غيره فقال عنها التالي او اللوح وسماها غيره الموجود الثاني ثم اطلقوا على العقل والنفس (الحدان والاصلان) ، اما ترتيب عالم الابداع

العلوي الأول فقد جعله الكرماني كما يلي قال :

ان الحد الاول هو الأول في الوجود والسابق في الوجود والتام في الوجود والتمام في الوجود والعقل والحد الأول والمبدع الأول ، وقال عن الثاني المنبعث الأول أو العقل الثاني ، وقال عن الثالث المنبعث الثاني الأول وهو الهيولى والصورة ، ثم نرى الكرماني ينتقل ليشرح الموضوع ويفصله فيقول : انه يصدر عن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة عالم الطبيعة بافلاكها وكواكبها وما فيها من الأشياء الكثيرة وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصدر الانسان بالنفس والجسم فترجع نفس الانسان إلى ما عنه وجدت وهو الملائكة ويرجع جسمه إلى ما عنه وجد وهو الهيولى والصورة .

ويقول الكرماني ايضاً : ان العقول عشرة وهي مراتب الوجود وان الابداع والانبعاث اللذين يذكرهما ويحلهما محل الفيض الذي يقول فيه افلاطون من الممكن ان نلتمس لهما وجه شبه لعله اظهر ما يكون بين الكرماني وبين اخوان الصفاء . ولكن من الظاهر ، ان القول بالابداع والانبعاث وبالمبدع والمنبعث نراه شائعاً في رسائل اخوان الصفاء كمثل ما نراه شائعاً في كتاب (راحة العقل) للكرماني ، ونجد أيضاً ان مذهب الكرماني في وجود العقل الأول على طريق الانبعاث ، هو بعينه ما يذهب اليه اخوان الصفاء ، من ان العقل الفعال له الابداع الأول والخلق الأكمل وان النفس الكلية هي الابداع الثاني او المنبعث

الأول . ولا يختلف اخوان الصفاء عن الكرماني إلا في تسمية الحدود كما قلنا فهم يطلقون على الابداع الأول اسم العقل الفعال في حين يطلق عليه الكرماني اسم العقل الثاني او المنبعث الأول . وليست هي المسألة الوحيدة التي يقع فيها التشابه بين الكرماني وبين اخوان الصفاء وانما هنالك مسألة اخرى تتصل بمراتب الوجود وترتيب العقول وما يقابلها من ترتيب الأفلاك والأجرام وحدود عالم الدين . وهذه وكثير غيرها من المسائل الفلسفية وما يمتزج بها من عقائد الدعوة الاسماعيلية يقع فيها التشابه بين اخوان الصفاء وبين الكرماني . وان هذا التشابه ليقوى ويأخذ طريقه ويظهر ويتضح إلى ان يأخذ صورة التطابق في الألفاظ والعبارات فضلا عن لب العقائد وصميم النظريات وذلك بشكل يؤكد لنا ان الكرماني لم يكن متأثراً باخوان الصفاء فحسب ، ولا متفقاً معهم فيما يذهبون اليه من الآراء والاعتقادات ، وانما هو يرى رأيهم ويذهب مذهبهم ويسلك سبيلهم ويقلدهم ويصطنع الفاظهم وعباراتهم لأنه يعتبرهم من أسياده ومؤسسي دعوته وأئمته . ولعلنا لو أردنا التطويل لخرجنا عن قاعدة الايجاز وعددنا النقاط والأرقام ولكن يكفي ان نشير إلى ما يصطنعه الكرماني في أوائل مشارع كتابه هذا أو في أواخرها من الفاظ وعبارات هي بالحقيقة من صميم ما يصطنعه اخوان الصفاء في أوائل رسائلهم أو أواخرها فهو يقول مثلا :

«سيكون لحل هذا الرمز عند أصحاب الصنعة . . ومن يكون أخانا حقاً في الفطنة والذكاء والتأله عيد كبير (١) » .

ويقول :

« والله يجمعنا وجماعة الإخوان المخلصين في دار القدس» (٢)

ويقول :

« وصلى الله على محمد وآله الطاهرين والسلام عليهم اجمعين وعلى جماعة اخواننا التابعين لنا في اعتقادنا» (٣) .

وكل هذا ردده اخوان الصفاء برسائلهم فقالوا :

« اعلم ايها الأخ البار الرحيم » (٤) .

« واعلم يا اخي أيدك الله وايانا بروح منه» (٥) .

« ووفقك الله وايانا وجميع اخواننا طريق السداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد » (٦) .

هذا هو ترتيب الحدود العلوية لدى احد كبار الدعوة الاسماعيلية (الكرماني) عرضنا له ، وغايتنا ان نأتي بالدليل القاطع على اتفاق الكرماني واخوان الصفاء بالنظريات

---

(١) راحة العقل — الكرماني صفحة ٢٤ .
(٢) راحة العقل — الكرماني صفحة ١٢٩ .
(٣) راحة العقل — الكرماني صفحة ٢٢٦ .
(٤) رسائل إخوان الصفاء ج ١ صفحة ٢٣ .
(٥) رسائل إخوان الصفاء ج ١ صفحة ٣٧ .
(٦) رسائل إخوان الصفاء ج ١ صفحة ١٠٩ .

الفلسفية والاعتقادات الدينية . وها اننا نورد رأي داع كبير آخر بحث هذا الموضوع واتفق مع اخوان الصفاء وأثبت انه من مدرستهم ومن حافظي تعاليمهم وهو (المؤيد في الدين الشيرازي) داعي الدعاة في عهد الامام المستنصر بالله الفاطمي اذ يقول في القصيدة الثانية من ديوانه :

« بديع شكر ووسيع حمد ... لمبدع الكاف الرفيع المجد
أكمله سبحانه اذ ابدعه ... مبتدعاً واخترع النون معه»

فقال: ان الله ابدع الكاف واخترع النون وان من الكاف والنون أقام الله العالم العلوي والعالم السفلي ، وهذه رموز اسماعيلية لا يدرك اسرارها إلا كل من اطلع على علم الحقيقة. وقال الاسماعيليون : ورووا عن النبي ﷺ انه قال : أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال : فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أجل منك بك أثيب وبك أعاقب(١). وهكذا اتفق الفاطميون ودعاتهم مع اخوان الصفاء على القول بأن العقل أول الموجودات واخوان الصفاء قالوا : العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري(٢) والنفس ترتبت بعد العقل ، والهيولى بعد النفس ، والطبيعة بعد الهيولى، والجسم بعد الطبيعة ، وقالوا في موضع آخر : واعلم يا اخي

(١) المجالس المؤيدية ج ١ صفحة ٢٠ .
(٢) رسائل إخوان الصفاء طبعة الهند ج ٣ صفحة ٤ .

ان العقل انما قبل فيض الباري تعالى وفضائله ، الذي هو البقاء والتمام والكمال دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة لقربه من الباري عز وجل وشدة روحانيته . فأما النفس فأنه لما كان وجودها من الباري جل ثناؤه بتوسط العقل صارت رتبتها دون العقل . فالكرماني والمؤيد في الدين واخوان الصفاء قالوا بأن العقل اول الموجودات . وهذا العقل الاول هو الذي أشار اليه الله تعالى (بالقلم) وسماه الكرماني (المبدع الاول) او الواحد الذي لا يتقدمه شيء وذلك لأنه الملك المقرب الذي اخبرت عنه السنة الالهية والشريعة النبوية بالقلم (١) وقال المؤيد في الدين داعي الدعاة : والقلم اول نور سطع ابداعاً من المبدع سبحانه ، وبذلك سبّب تهكم المؤيد في الدين على من قال ان القلم من مادة معدنية او نباتية . واذا رجعنا الى رأي الفارابي نراه قريباً من رأي الاسماعيلية إذ كان يرى القلم واللوح من الملائكة الروحانية .

وقال ايضاً :

« لا تظن ان القلم آلة جمادية واللوح بسط مسطح والكتابة نقش مرقوم ، بل القلم ملك روحاني واللوح ملك روحاني (٢)

---

(١) راحة العقل ج ١ صفحة ١٠٩ .

(٢) رسالة نصوص الحكم للفارابي طبع ليدن صفحة ١٨٩٠ .

اذن فان القلم او العقل الكلي او المبدع الاول هو اول المبدعات في رأي بعض دعاة الفاطمية وهو الذي سمي ايضاً باسم السابق وهو اعلى الحدود مكانة كما ذكرنا من قبل وكما قال اخوان الصفاء :

« وإلى الخمسة الفاضلة من الملائكة اشار النبي ﷺ بقوله: حدثني جبرائيل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم (١) » .

ولندخل الداعي الكبير الأجل «ابو يعقوب السجستاني» بالمناقشة ونشركه بالبحث ثم نستمع اليه يفصل لنا اراءه بالحدود العلوية قال: (٢) .

(...ثم العقل ، اذ ان الباري تعالى لم يوجد في اول الخلقة غير العقل وحصر في جوهره صور المبدعات كلها ويضاف الى العقل اسم «القلم» لان بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء الى الانتهاء ، ويقال للعقل « العرش » اي انه مقر لمن جلس عليه وبجلوسه تعرف جلالته عن من هو منحط دونه. ويقال للعقل « الأول» ومعناه ان الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ما هو موجود وما هو مطبوع عليه غيره في اظهار

---

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ٣ صفحة ٢٢ .

(٢) رسالة تحفة المستجيبين صفحة ١٤٨، هذه الرسالة ضمت إلى كتاب « خمس رسائل إسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

قوته التي من اجلها ايّس(١) ذلك الشيء . ويقال للعقل ايضاً السابق ومعناه ان العقل اسبق لقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحادها به وهي العلم والامر اللذين هما بمعنى واحد . وقد يجوز ان العقل ، فعله سبق قوته ولم توجد هذه الفضيلة في أيس(٢) سواه لأن جميع الحدود من دونه قواتهم سابقة افعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملا . ويقال للعقل « القضاء » ، على ان بالعقل تقضي للنفس ادراك المعلومات والظفر بالمطلوبات ويجوز ان العقل هو قضاء الله عز وجل . ويقال للعقل ايضاً الهيولى فمعناه ان بالعقل قوام ما ينبجس من الصور المستفادة ويقال للعقل (الشمس) ومعناه ان بالعقل تبصر الحقائق .

ثم ان النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الاول وانما سمّيت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة . ويقال للنفس (اللوح) فمعناه ان الذي انفطر من العقل من انوار الحكمة يتسطر في النفس ومن النفس بجريانها المنبعثة منها على مقدار صفائها ولطافتها . ويقال للنفس (الملك) ومعنى ذلك ان النفس هي ملك العقل وقينته لأن النفس ظهرت فضيلة العقل كما ان بالملك تظهر فضيلة الملك . ويقال للنفس (الثاني) فمعناه انها الحال الثاني لجميع المخلوقين ومحافظتهم

---

(١) أوجد (٢) موجود .

اشياءهم ، انما تفضيل النفس بين كل شيء ليكون للسلوك وللمنطق عبارة ، ويقال للنفس (التالي) فمعناه ان الذي يتلو العقل في باب قبول آثار الكلمة انما هي النفس ويجوز على ان النفس بقوتها تتلو العقل بفعله ؛ ويقال للنفس (القدر) فمعناه ان الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل فان التقدير والتحديد محيطان به ؛ ويقال للنفس (الصورة) ومعنى ذلك ان النفس تصورت من جوهر العقل الذي به تقف على فوائده . ويقال للنفس (القمر) فمعناه ان النفس تستفيد من انوار العقل وضيائه وانها متى همت ان تلحق به لتنزل منزلته محق نورها ، كما ان القمر يستفيد نوره من نور الشمس واذا اجتمع في المنزلة محقت نوره ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة (الأصلان)] .

ما عسانا نقول بعد هذه المقابلة الفلسفية ؟ وبعد ايراد هذه البيّنات الدامغة ؟ أو يبقى مجال للشك باسماعيلية اخوان ونعود لنذكر ناحية ثانية تزيد الموضوع توضيحاً وتأكيداً ، وهي نظرية التأويل الباطني (١) بالنسبة للاسماعيلية واخوان الصفاء . فقد جاء المؤيد في الدين داعي دعاة الامام المستنصر بالله الفاطمي يقول(١) :

(١) راجع مقالنا عن (نظرية التأويل الباطني للقرآن لدى الاسماعيلية) مجلة الحكمة عدد ٧ نوار ١٩٤٥ بيروت — لبنان .

(١) المجالس المؤيدية ج ١ مجلس ١٦ .

(اعلم يا اخي ان لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهراً وباطناً فظواهر الامور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ. وقد سئل الامام جعفر الصادق عن الحاجة الى اتخاذ الباطن في الحجب والعدول بها عن طريق الإيضاح والاظهار فأجاب: هي الحاجة الى اتخاذ الحَبّ في اغطية السنابل والثمار في الاغشية ليؤم لاستخلاصها ذوو البصائر والابصار فبيَّن الله سبحانه فضل المجتهدين على المقصرين والمجاهدين على القاعدين وقد نظم المؤيد قول جعفر بقوله:

«ورب معنى ضمّه كلام ... كمثل نور ضمّه ظلام
باق بقاء الحب في السنابل ... في معقل من احرز المعاقل»

وقال مشيراً إلى الامام:

يستخلص الأرواح من ظلامها ... ويخرج الثمار من اكمامها

وجاء أيضاً (١):

إن الباري سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس، فمن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الأجسام وأعراضها، ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها، ومن الموجودات الظاهرة الجلية للحواس أيضاً أمور الدنيا ومن الموجودات الباطنية الخفية عن أكثر العقول أمور الآخرة ثم

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ١ ص ٧٨.

جعل ما كان منها ظاهراً جلياً دليلا على الباطن الخفي .

وجاء أيضاً(١) :

[واعلم يا أخي بأن لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهراً وباطناً وظواهر الأمور قشور وعظام ، وبواطنها لب ومخ وإن الناموس هو أحد الأشياء الموجودة في هذا العالم ، منذ كان الناس ، وله أحكام وحدود ظاهرة بيِّنة يعلمها أهل الشريعة وعلماء أحكامها من الخاص والعام ولأحكامه وحدوده أسرار وبواطن لا يعرفها إلا الخواص منهم والراسخون في العلم]

من المعلوم لدى كل متعمق بدراسة العقائد الاسماعيلية وفلسفتها وتعاليمها أن هذه المجموعة تعتنق فكرة الرئيس الروحي أو الإمام الذي تعتبر وجوده ضرورياً في كل عصر وزمان لينطق بالقرآن ويقوم بالوعظ والارشاد والفصل بالقضايا والأحكام ، وهذه رسائل إخوان الصفاء جاءت في أكثر من موضع تثبت هذا الاعتقاد .

وجاء أيضاً(٢) :

[واعلم أنه ما من جماعة تجتمع على أمر من أمور الدين والدنيا وتريد أن يجري أمرها عل السواء وتكون سيرتها على

---

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) رسائل إخوان الصفاء ج ٤ ص ١٨١ .

الرشاد ، إلا وتحتاج إلى رئيس يرأسها ليجمع شملها ويحفظ نظام أمرها ويراعي تصرف أحوالها ويروم على الانتشار جماعتها ويمنع من الفساد صلاحها وذلك أن الرئيس أيضاً لا بد له من أصل يبني عليه أمره به بينهم وعلى ذلك الأمر يحفظ نظامهم ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة اخواننا والحكم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيساً على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الأمر والنهي].

إن العقل الفعال يشكل بالاعتقادات الاسماعيلية الموجود الأول ويقابله في عالم الدين الناطق ، ويشكل الامام مركز النفس الكلية أو المنبعث الأول وإن الناطق يظل محافظاً على هذا المركز وقائماً فيه إلى حين موته وعندئذ ينتقل هذا المنصب إلى الوصي صاحب المركز الثاني بوجود الناطق . وهنا نرى إخوان الصفاء يدعون إلى هذا الاعتقاد بهذا الامام أو هذا الرئيس الذي يعمل بوظيفة العقل والنفس معاً . . .

وجاء الداعي الاسماعيلي اليمني « الحسين بن علي بن الوليد» في رسالته « المبدأ والمعاد » يؤيد هذا الاعتقاد بقوله(١) :

[يجب أن يعتقد أن النبي محمد(ﷺ) أفضل عقول عالم الطبيعة

---

(١) ضمت هذه الرسالة إلى كتاب (ثلاث رسائل إسماعيلية) تحقيق المستشرق هنري كوربان *H. Corbin* من منشورات المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية ــ طهران .

وأشرف حدود عالم الدين وأن المعجزات التي كان يظهرها أمير المؤمنين هي من تأييد العقل الاول له ، وأنها لم تصل اليه الا بوساطة النبي ومادته له لانه حده ومعلمه ومرقيه الى تلك المرتبة ومستخلفه بعده في امته وهو حجته في حياته ، وكانت مرتبة النبي مرتبة العقل السابق في وقته ومرتبة أمير المؤمنين في الدين مرتبة الانبعاث الاول في عالمه ، والنبي مثل الذكر في الدين وأمير المؤمنين معه مثل الانثى القابلة منه ، والنبي مثل السماء وأمير المؤمنين معه مثل الأرض. فلما انتقل النبي ﷺ صار أمير المؤمنين بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول وحجته مقام المنبعث الأول . والذي يجب أن يعتقد به أنه قد صار النبي وأمير المؤمنين في منزلة واحدة لا فضل لأحد منهما على الآخر بل قد تساويا كما قال النبي : « أنا وأنت يا علي كهاتين » وجمع بين أصبعيه المسبحتين في يديه اليمنى واليسرى وقال لا أقول كهاتين وجمع بين المسبحة والوسطى وقد سبقت احداهما الأخرى فمن اعتقد في أحدهما انه أفضل من الآخر فقد غلا فيه وقصر في الثاني فلا تعتقد إلا هذا).

وجاء أيضاً(١):

[واعلم بأن الناس أشخاص لهذا الانسان المطلق وهو الذي اشرنا اليه انه خليفة الله في ارضه منذ يوم خلق آدم ابو البشر إلى

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ١ ص ٢٣٦ .

يوم القيامة الكبرى ، وهي النفس الكلية الانسانية الموجودة في كل اشخاص الناس كما ذكر جل ثناؤه بقوله :

«مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» [1]

واعلم يا اخي ايدك الله وإيانا بروح منه بأن هذا الانسان المطلق الذي قلنا هو خليفة الله في أرضه ، هو مطبوع على قبول جميع الأخلاق البشرية وجميع العلوم الانسانية والصنائع الحكمية وهو موجود في كل وقت وزمان) .

هذه اشارة تؤكد ان هذا الرئيس المطلق الذي هو الامام له مقام في عالم الدين كمقام النفس الكلية التي تقبل صور الموجودات والصنائع الحكمية في عالم الابداع ، وان هذا الرئيس المطلق يقوم بوظيفة العقل الفعال بعد زوال الناطق من عالم الكون والفساد وعلى رأي إخوان الصفاء ان صاحب هذا المركز موجود في كل عصر وزمان كما هو الحال لدى الاسماعيلية .

وننتقل بعد هذا إلى بحث التأويل الباطني في رسائل اخوان الصفاء ونسبته إلى الاعتقادات الاسماعيلية فنقول :

يبدو جلياً وواضحاً ان علم التأويل يحتل المركز الرئيسي الهام في رسائل اخوان الصفاء وفي الفلسفة الاسماعيلية ويعتبر من الدعائم المتينة التي ترتكز عليها معتقداتها ، أو على الأصح من

---

(١) سورة لقمان آية (٢٨) .

العلوم الفلسفية العميقة ـ ذات الأثر الفكري ـ البارز التي كثيراً ما تتطلب الدراسة المتواصلة والاجتهاد المستمر للوصول إلى كنه الأشياء والوقوف على الأصول المجرّدة ، فكلمة تأويل بمعناها اللغوي هي كما جاء في معاجم اللغة وخاصة «المحيط» :

«أول الكلام تأويلا وتأوله أي دبّره وقدّره وفسّره» . أو هي علم الباطن للقرآن والاستدلال بالمحسوسات على المعقولات ونظرية موازنة الشرح للمعقول ، وهذا العلم اقتصرت معرفته والتكلم عن اصوله وفروعه على الراسخين بالعلم الذين هم (الائمة) الموصوفون بورثة الانبياء واصحاب الشجرة الكونية الثابتة الاصلية ، وقد جاء بالحديث عن هؤلاء ما معناه : ان للقرآن تأويلا باطنياً لا يمكن ان يصل إلى معرفته او ينهل من نبعه إلا من وصل إلى معرفة ماهية الأشياء ووقف على علم الحقيقة التي اتى بها النبي محمد ﷺ وأهل بيته وذلك بدليل الآية القرآنية الكريمة :

«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» [1]

وقد جاء بالكتب الاسماعيلية ايضاً : ان الظاهر هو المثل والباطن هو الممثول ، وقالوا ان الانسان مثل والنفس ممثول والدنيا مثل والآخرة ممثول وان هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى وجعلها قوائم الحياة من شمس وقمر ونجوم لها ذوات قائمة تحل منها

---

(١) سورة آل عمران آية (٧) .

محل المثل وان قواها الباطنية التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الأمثال . ومهما يكن من امر فان هنالك معان مستترة تحت الألفاظ وأمور محتجبة وراء حجب كثيفة لا يجوز المرور بها مرور الكرام فهي قوام الدين وخلاصة عقيدة النجاة لأن الباري الكريم سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الأجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها .

هذه اراء اخوان الصفاء وخلان الوفاء بالتأويل الباطني عرضنا اليها بايجاز وقابلناها مع التأويل الاسماعيلي الذي لايختلف عن اراء اخوان الصفاء فحسب بل يتفق معهم اتفاقاً قد يبدو تاماً لا لبس فيه ولا غموض .

وجاء أيضاً(١) :

(وقد ذكرت الحكماء ان العلم موجود قائم بسبعة اشخاص فاضلة كائنة في سبعة اوقات يظهر مع كل واحد منهم من روح القدس ما يكون به الأخبار عن الأشياء كلها ، وان كل واحد منهم إذا ظهر في زمانه اقام لابلاغ رسالته وبيان موعظته وتعليم آياته وصفات معجزاته اثني عشر رجلا من اجلة اصحابه واقاربه

(١) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٦٣٢ .

واهل بيته ، ليبلغوا عنه ما ارسل به إلى امته ويعينوه على اظهار دعوته، ثم ينبث من كل واحد منهم رجال عدة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل كما ينبث منه فعل روحانيات الكواكب السبعة في الاثني عشر برجاً من الملائكة والجنود ، ما يبدو عنهم ومنهم من الافعال والأعمال والأقوال والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير والعبادة وما يحدث من القوى السبعة الموجودة في الجسم الانساني وما يخرج من انفاسه من النفث وما يبدو من حواسه وأعماله وما يترتب من صنائعه وكلامه والفاظه مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وما يتكون في الأقاليم السبعة والجزائر الاثنى عشر لذلك الشخص الزماني موجود بسبعة ايام واثني عشر شهراً والسنة جامعة لها وما يتفرع منها من الساعات والدقائق والدرجات مما يعرفه اصحاب النجوم ولا يخفى على أهل العلم . وكذلك الرئيس الآتي في آخر الزمان سيد « اخوان الصفاء » فهو المحيط بعلوم من تقدمه من الرؤساء الستة صلوات الله عليهم وبظهوره يكون ظهور السعادات كلها) .

ان هذا النص يذخر بالتعاليم الفلسفية الاسماعيلية . وفي الحقيقة انه يعبر عن حقائق ثابتة لهذه الفلسفة الباطنية . فانني لم اطلع على كتاب من كتب الدعوة الاسماعيلية الا ورأيت هذه التعاليم تتوجه وتزين صفحاته وتحتل المكان البارز فيه . وهذه التعاليم تقول بأن عالم الدين أو الدعوة الاسماعيلية الامامية تقوم

على اثني عشر داع ، كل داع يرأس جزيرة وعدد هذه الجزر اثنتا عشرة كعدد بروج السماء او كعدد اضلاع الانسان أو كعدد الثقوب الموجودة في الجسم ، أو كالاثني عشر شهراً التي تتألف منها السبعة او كالأثنتي عشرة ساعة التي يتألف منها الليل والنهار ، وكل هذا مطابق لما جاء بالآية الكريمة القائلة :

«وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا إِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ إِثْنَتَا عَشَرَةَ عَيْنَا (١) » الخ ... ثم ان العدد السابع هو الذي تنسب اليه الاسماعيلية فهي قد عرفت بأنها الفرقة (السبعية) . ومن جهة أخرى يمكننا التأكيد ان كلمة سابع تطبق فلسفياً كما يلي ، (١) قالوا :

(ان الله سبحانه وتعالى خلق الكون بستة أيام ثم استوى على العرش باليوم السابع ، وان عدد السموات سبع ، وللكواكب النيرات سبعة ، والأقاليم الأرضية سبعة ، والبحار سبعة . كما وان للنفس الكلية سبع نفوس جزئية ثم سبع قوى روحانية . كما وان الموجودات التي تتألف منها دعائم الطبيعة عددها سبع ، وان أيام الأسبوع سبعة ، وعدد الأنبياء الناطقين بالرسالات ستة وقائمهم سبع ، وأسسهم ستة وأساس القائم فيكون المجموع سبعة ،

---

(١) سورة البقرة آية ٦٠ .

(٢) راجع مقدمة « أربع رسائل إسماعيلية» ـ تحقيق عارف تامر ـ منشورات دار الكشاف بيروت ـ لبنان .

وان الادراكات العقلية مقسمة إلى سبعة ، وفي جسم الانسان سبع جواهر ، يقابلها سبع قوى مستورة ، عليها قوائم الجسم ، وان اركان الدين الاسلامي قامت على سبع أيضاً » .

ولنسمع إلى رأي الداعي الاجل « الحسين بن علي بن الوليد» يفصل مراتب الدعوة فيقول (٢) :

« وأقام هذا الشخص الفاضل « أي الامام » بحضرته اثني عشر شخصاً هم حجج الليل وهم افضل السبعة والعشرون ، منهم اربعة يسمون « الحرم » وهم أفضل من الثمانية ، ومن الأربعة واحد هو أفضلهم ، ويسمى « الباب » وهذه المراتب محفوظة لا تنقطع مع كل ناطق في دوره ووصي في عصره وإمام في زمانه » .

وننتقل بعد إيراد هذا البيان إلى موضوع الرموز والاشارات والتعابير التي وردت على لسان الحيوانات في رسائل اخوان الصفاء (١) فقد جاء ما يلي :

(وكذلك فعلت الامة الضالة والفئة الطاغية والعصبة الباغية من أئمة الضلال الداعية إلى النار ، منعوا أولياء الله وأهل بيته الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، أن يسعوا في الأرض بالصلاح العام والنفع التام ، مما استذلوهم به من المذلة

---

(٢) رسالة المبدأ والمعاد ص ٣٢ .

(١) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٤٤٧ .

والهوان وألجموهم عن النطق بالحكمة والكلام بما فيه صلاح الأمة بالخوف الذي لحقهم والامتحان الذي شملهم منهم ، كما تلجم البهائم بلجم الحديد الثقال والأرسان لتقاد حيث ما قيدت وتمتنع من الكلام بما أرادت فهي تشكو إلى ربها العالم بسرائرها ، بقلوب نقية وأرواح سليمة ونيات جميلة عسى أن يرحمها ويفرّج عنها ويزيل كربها ويسمع دعاءها ويعضدها ويأخذ لها بحقها ممن ظلمها وتعدى عليها وهو ولي إجابتها ومعونتها ونصرتها إذا قام قائمها وانتبه نائمها الذي طال نومه صبراً واحتساباً على ما ناله في جنب الله وطاعته حتّى يأذن له ربه ويؤيده بملائكته فعند ذلك يقوم فيأخذ بحقه وينجز له وعده ويملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً ويفك البهائم الأسيرة والأشخاص الذليلة من أسر العبودية وقيد المملكة ورق الذل ويجعل الذين أهانوهم في مثل ما كانوا فيه جزاء بما كانوا يعملون ، ويحق الله الحق بكلماته ويظهر دعوة اخوان الصفاء وخلان الوفاء ويجمع شملهم بظهور النفس الزكية والروح الطاهرة المطمئنة فعند ذلك يطهر الأرض من أنجاس الجاهلية) .

وجاء ايضاً :

« الحيوان ملزوم بخدمة الانسان طوعاً وكرهاً فهو متصرف فيه وحاكم عليه كتصرف العالم العلوي في العالم السفلي » .

يظهر من هذا الفصل ان اخوان الصفاء يقرون بالفلسفة القائلة

بأن العالم العلوي يتحكم في العالم السفلي ، وأن ممثوله هو تحكم الانسان بالحيوان وتحكم أهل الشر بأهل الخير وهذا جميعه مطابق لما قاله احد فلاسفة الاسماعيلية :

(عند بدء الخليقة وبعد وفاة آدم سيد البشر تشاجر ولداه على مملكته فكان الأول هابيل ويمثل « الخير » والثاني قابيل ويمثل « الشر » . فتشاجر الخير والشر فكان ان صرع الشر الخير وهكذا ظل مصروعاً وسيظل إلى انتهاء الدور وابتداء الكشف وظهور قائم الزمان المنتظر . وقد جاء برسائل اخوان الصفاء ما يثبت هذا القول عن الجن فذكر انهم مقسومون إلى قسمين محمودين ومذمومين ، فالمحمودون هم اصحاب العلوم العقلية والآراء الفلسفية والمذاهب البرهانية وهم الحكماء الالهيون والعلماء الربانيون الذين آمنوا بالرسل المبعوثين من الأنس واستجابوا للنطقاء المؤيدين بالوحي وأما المذمومون فهم المفسدون للشرائع المعطلون لأحكامها النازحون عن موجباتها) .

وجاء أيضاً ما يؤيد هذا القول ويثبت ان الحيوانات هم مثل على أهل الدعوة المأسورين وهذا هو القول :

(البهائم الأليفة هي الأسيرة في أيدي أصحاب الرأي والقياس والعمل والالتباس التي ليس بأيديها حول ولا طول كالغنم والبقر وما شاكلها) .

يضاف إلى ذلك ان اخوان الصفاء يقولون بأن اهل الظاهر

هم قوم بعيدون عن العلم والحكمة ويذكرون انهم تحكموا بأتباع أهل بيت الرسول المطهرين وألجموهم عن النطق بالحكمة والعلم ، ولقد يقولون انه قد طال الوقت على ستر الامام لذلك فان المؤمنين الذين يطلق اخوان الصفاء عليهم اسم الحيوانات الأليفة قد رفعوا صوتهم عالياً بالدعاء لله ان يفرج عنهم بظهور الامام الذي يأخذ الحق ويفك البهائم من الاسر ثم يجعل اعداءهم مكانهم وعندئذ تظهر دعوة اخوان الصفاء ويقوم رئيس مدينة اهل الخير « الامام » وتتطهر الارض من انجاس الجاهلية .

ولقد جاء برسائل اخوان الصفاء ما يثبت ذلك ، قولهم :

« الانس طائفة منهم أصحاب ظواهر الشرائع القائمون فيها بالرياء وطائفة منهم اصحاب الحقائق العقلية والديانات الشرعية النبوية » .

وجاء ايضاً :

« الجن فرقتان المحمودة الطائعة لربها المنقادة لأمر خالقها المسبحة بالليل والنهار ، اما المذمومون فهم الشياطين العاصون» .

وجاء ايضاً :

« عند بدء الخليقة توالدت ابناء بني آدم ثم سخروا الأنعام والبقر والغنم.. الخ، وظل الأمر إلى ان جاء محمد ﷺ فأجابته طائفة من الجن وحسن اسلامها » .

هذا اعتراف صريح بأن الجن هم اهل للدعوة المؤمنون

الأخيار الفضلاء وهذه الآية الكريمة تؤيد ذلك «وَمَا خَلَقت الإِنْسَ وَالْجِنَّ إِلاَّ لِيَعْبُدُون [1]»

وجاء ايضاً (٢):

«ثم انه ولي على بني الجان ملك في جزيرة (صاغون) إلى ان جاء مركب إلى الساحل فخرج من فيه إلى الجزيرة افرادها متآلفة بعضها مستأنسة غير متنافرة وهؤلاء القوم استوطنوا تلك الارض وا عجبوا بما فيها ثم انهم أخذوا يتعرضون. للبهائم ولتلك الأنعام يسخرونها ليركبوها ويحملوا عليها اثقالهم فنفرت منهم وهربت وذهبت إلى ملك الجن فشكت اليه فارسل ملك الجن اليهم رسولا ودعاهم إلى حضرته فذهب اهل المركب وعددهم سبعون من بلدان شتى ثم اوصلهم إلى مجلسه بعد ثلاثة أيام فقال لهم لماذا جئتم إلى جزيرتنا بدون دعوة؟ فقال قائل منهم: (سمعنا الكثير من الفضائل والمناقب فجئنا ليسمع كلامنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين المنكرين ثم بدأت المحاكمة بينهم».

جزيرة «صاغون» على حد تعبير واعتقاد اخوان الصفاء هي مدينة (أهل الخير) التي ردد اخوان الصفاء ذكرها اكثر من مرة ، والبحر في التأويل الاسماعيلي الباطني هو العلم

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ٣ (رسالة الحيوان)

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

الامامي الحقيقي ، والسفينة هي الدعوة الامامية سواء اكانت ظاهرة او مستورة ، وركاب السفينة هم أهل هذه الدعوة وقد جاء ان عددهم حينما غادروا بلدتهم وجاءوا إلى « صاغون » كان سبعين رجلا وهذا معناه ان هذه السفينة ضمت ممثلين عن الفرق الاسلامية الثلاث والسبعين المذكورة بالحديث النبوي الشيق القائل : (ستنقسم امتي إلى ثلاث وسبعين فرقة : اثنتين وسبعين هالكة وواحدة ناجية » . وفي الحقيقة فان أهل هذه السفينة عندما تاهوا في البحر وتقاذفتهم الأمواج الصاخبة أي عندما ضلوا عن اتباع طريق الهدى والحق وتقاذفتهم أمواج الضلال رمتهم الأقدار بجزيرة (صاغون) وهي مدينة (اهل الخير) أو (البلدة الفاضلة) فوجدوا فيها على حد تعبيرهم كل شيء على ما يرام وان اهالي هذه الجزيرة نفروا منهم لانهم مؤمنون وهم ضالون وذهبوا إلى ملك الجن ، وملك الجن هو رئيس مدينتهم وسيد إخوان الصفاء فعرضوا الأمر عليه وطلبوا اخراج اصحاب السفينة الضالة الذين أفسدوا عليهم وتحكموا فيهم فطلبهم رئيس المدينة وعندما جاءوا اليه لم يسمح لهم بالدخول إلا بعد ثلاثة أيام ، ومعنى ذلك أنه لم يسمح لهم بالدخول إلا بعد ان انضمت اليهم الفرق الثلاث والسبعون تحقيقاً لمضمون الحديث المذكور وعندئذ بدأت المحاكمة بينهم وبين المؤمنين أصحاب مدينة (أهل الخير) أي الفرقة الناجية .

وجاء ايضاً : (١)

(قال صاحب العزيمة أرأيتم ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الأنس في الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الأنس عليها بذرابة السنتها وجودة عبارتها وفصاحتها ، اترى ان تبقى هذه البهائم اسيرة في ايديهم ليسومونها سوء العذاب دائماً ، قال لا ، ولكن تصير هذه البهائم في الامر والعبودية إلى ان ينقضي دور القران ويستؤنف نشوء آخر ويأتي الله لها بالفرج والخلاص . كما نجّى آل اسرائيل من عذاب فرعون ، وكما نجى آل داود من عذاب بخت نصر وكما نجى آل حمير من عذاب آل تبع ، وكما نجى آل ساسان من عذاب اليونان وكما نجى آل عمران من عذاب أذشير . فان أيام هذه الدنيا دول بين أهلها تدور باذن الله تعالى وسابق علمه ونفاذ مشيئته بموجبات احكام القرانات والأدوار في كل الف سنة مرة او في كل اثني عشر الف سنة او في كل ستة وثلاثين ألف سنة مرة او في كل ثلاثمائة وستين ألف سنة مرة . يوم مقداره خمسون الف سنة .. فاعلم جميع ذلك » .

هذا المقطع جاء في آخر المحاكمة وفيه ان صاحب العزيمة ملك الجن أو رئيس الدعوة أو الحاكم أو الامام عندما رأى أن الانس - وهم جماعة (أهل الظاهر) - المخالفين للدعوة الامامية بذرابة السنتهم وجودة عبارتهم وفصاحتهم قد تمكنوا

من التغلب على المؤمنين الطائعين اهل المدينة الفاضلة حكم ان يبقى المؤمنون تحت حكم هؤلاء أي ان لا تقوم لهم دولة ما حتى يبزغ النشوء بظهور قائم الزمان كما جاء بالقرآن الكريم (١) :

«يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» (١) .

ففي التأويل الاسماعيلي ان السماء هي الشريعة العائدةللناطق وتأويل الآية انه عند ظهور القائم السابع المنتظر ستطوى جميع الشرائع وعددهم عدد السموات أي ست شرائع وهي لآدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى و محمد كما يطوى السجل ويضيف اليهم الشريعة السابعة التي تلغي جميع ما قبلها وعندئذ يبدأ عهد جديد كما كان قبل بدء الخليقة الطبيعية أي عالم الدين .

وبمعنى آخر :

«وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» (٢)

فالجبال بالتأويل الاسماعيلي هم الدعاة ومرورهم هنا معناه يوم ظهور القائم السابع فيمرون للتبشير بظهوره من مكان إلى مكان كما يمر السحاب .

---

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ٣ صحيفة ١٩٨ .

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٤ . (٢) سورة النمل آية ٨٨ .

وجاء أيضاً (١) :

« فقالت الجماعة حينئذ : صواباً ما رأيت ونعم ما اشرت فأرسلوا ستة انفار إلى ستة أجناس من الحيوان وسابعها كانوا هم حضوراً من البهائم والأنعام، منها رسولا إلى الحشرات ورسولا إلى الطيور ورسولا إلى الجوارح ورسولا إلى الهوام ورسولا إلى حيوان الماء » .

الرسل هنا على حد تعبير اخوان الصفاء هم النطقاء اصحاب الشرائع الذين جاء كل واحد منهم الى فرقة من البشر يبلغهم القوانين الالهية ، وهذا بالتأكيد لأن عددهم هنا حدد بستة .

وجاء أيضاً (٢) :

« ثم ان الملك نظر إلى جماعة الانس وهم وقوف فوجدهم اثنين وسبعين رجلا مختلفي الألوان » .

وهذا دليل قاطع على ان هؤلاء الجماعة هم الفرق الاسلامية التي اختلفت بعد النبي (ﷺ) وعددهم اثنتان وسبعون والفرقة الناجية من أتباع الملك فصار عددها ثلاثاً وسبعين .

وأخيراً هذا ما اتسع له المجال الآن لايراد المصادر التاريخية والبيانات العلمية والفلسفية التي جاءت جميعها تؤكد علاقة اخوان الصفاء وخلان الوفاء بالاسماعيلية واعتبارهم من المؤسسين

---

(١) رسائل إخوان الصفاء جزء ٣ ص ٢٠٢ .

(٢) رسائل إخوان الصفاء جزء ٣ ص ٢٤٩ .

لهذه الدعوة الفلسفية ذات الرسالة الكبرى والحضارة العظمى . ومهما يكن من أمر فاننا لو أردنا زيادة البيانات وذكر جميع ما جاء برسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة ، وجامعة الجامعة والتحليق في أجوائهم والدخول إلى مدينتهم اذن لأخذنا بعجائبها وفتنا بمناظرها وتنعمنا بروائعها وتفيأنا بظلال أشجار حدائقها ذات الورود العطرة والأثمار الناضجة والينابيع الثرّة الدافقة . وعندئذ يطول الحديث عنهم ويخرج عن نطاقه المألوف كمقدمة لكتاب ويصير كتاباً جامعاً وهذا ما سوف نعمل على تحقيقه في المستقبل القريب ان شاء الله .

* * *

رسالة جامعة الجامعة :

عرضنا في مقدمتنا إلى القول بأن (اخوان الصفاء وخلان الوفاء) قد صنفوا احدى وخمسين رسالة طبعت في اربعة اجزاء مرة بالهند ومرة في مصر والثالثة في بيروت . أما الرسالة(الجامعة) فقد قام بطبعها المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الدكتور جميل صليبا الذي نسبها خطأً إلى (المجريطي) ومع ان التحقيق العلمي جاء لا غبار عليه فان المقدمة والتعريف ليس فيهما ما يفيد العلم او ينفع الباحث ولعله من المفيد ان نعلن اننا نقوم الآن باعداد طبعة جديدة (للجامعة) على ضوء مخطوطة بلدة(مصياف) التي نعتبرها اقوم وأصح النسخ على الاطلاق .

اما جامعة الجامعة هذه ، أو زبدة اخوان الصفاء فنعتبرها فهرست الرسائل جميعها وزبدتها وخلاصتها وهذه الرسالة نضيفها الآن إلى سلسلة كتبنا وبحوثنا عن الدراسات الاسلامية الفلسفية والتاريخية معتبرين ان عملنا فيه خدمة للفكر الانساني وللتراث العلمي الخالد. وفي الواقع فان في مملكة اخوان الصفاء وخلان الوفاء كنوز فلسفية ثمينة وحكم نادرة جديرة بالبحث والدراسة فهي تمثل وجه فلسفتنا الاسلامية اصدق تمثيل ، وان الواجب يدعونا إلى ان نتفرغ لدراسة هذا التراث الفكري الضخم الذي خلفه لنا الأجداد ونتوفر على استخراج جواهره الفكرية من مخابئها على ضوء التطور الفكري الحديث والتقدم العلمي السريع متتبعين سير ركب المدنية العصرية سائرين وراء قافلة الحضارة العالمية في السبيل السوي القويم .

عارف تامر

الاصطلاحات التي اعتمدناها في التحقيق :

حرف ــ ق ــ يفسر مخطوطة قدموس
حرف ــ م ــ يفسر مخطوطة مصياف
حرف ــ س ــ يفسر مخطوطة سلمية

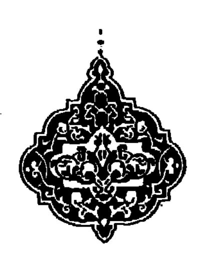
بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الغر الميامين ، وعلى اصحابه الصادقين الذين احسنوا صحبته ولم يخالفوا عهده إلى يوم الدين . وبعد: فهذه رسالة « جامعة الجامعة» او « زبدة رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » صلوات الله عليهم . ونبدأها في بيان ماهية الموت والحياة ، وما حكمة وجودهما (١) في الدنيا التي هي عالم الكون والفساد ، وما حقيقة المعاد . والغرض المقصود منها الكشف عن علة رباط الانفس الجزئية الناطقة بالأجسام ، واتصالها بالأشخاص الجزئية إلى وقت الموت وكيفية الثواب والاستعداد قبل الموت ، ثم الاستعجال قبل الفوت ما دام الخلاص ممكناً ، وسبب النجاة معروضاً والأجساد موجودة ، والآلات متمكنة ، وبذلك يكون الاشتهاء للموت وإزالة الخوف والتجافي عنه ، كما قال الله عز وجل :

(١) في نسخة (ق) وردت وجودهم

«قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١) ».
وبتمني النفس الموت ودنوها منه ، وتسليمها جسدها اليه ، إذا حل بساحتها ، وترك استعمالها اياه ، واستراحتها من أذاه واتحادها مناها ، وبلوغ منتهاها ، وأنه لا سبيل لها إلى البقاء السرمدي (٢) الذي لا يزول ولا يتغير إلا بعد مفارقة الجسد المستحيل (٣) الذي هو سبب الانتقال والزوال والتغيير من حال إلى حال .



---

(١) سورة الجمعة آية ٦ .

(٢) سقطت في نسخة (م) .

(٣) سقطت في نسخة (م) .



الفَصل الأول

إعلم يا أخي (١) أيدك الله وايانا بروح منه ، ان الموت ولادة الروح ، وكما ان وضع الجنين لا يكون إلا بعد تمام آلته ، وحصوله على صورته-وان الولادة هي سعادة له وبركة عليه إذا وصل بها إلى هذه الدار الواسعة ، وشاهد هذه المحسوسات المرئيات (٢) . وان بين هذه الدار وبين الرحم الذي كان فيه وتأسف عليه عند مفارقته إياه درجة عظيمة ومنزلة رفيعة . فلما بان له ذلك تمنى لو لم يكن في الرحم تلك المدة المقدرة لكونه لم يمكث هناك الا لتكمل له صورة ينتفع بها في دار الدنيا بعد الولادة - كذلك النفس ما دامت في دار الدنيا فان المراد منها أن تكتسب بأفعالها الحسنة وأعمالها الصالحة صورة تنتفع بها إذا فارقت هذا العالم الفاني والمحل الجسماني . فان فاتها ذلك انعكست في المنقلب وعادت إلى سوء الطلب وقالت :

«يَا حَسْرَتي عَلَى مَا فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ . وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ

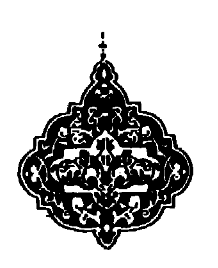
---

(١) في نسخة (ق) وردت (أيها الأخ) .

(٢) في نسخة (س) وردت (المرئية) .

السَّاخِرِينَ (١) » وقالوا : « فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » ،وهيهات حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ (٢) «يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسٌ (٣) إِيمَانُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً » .

وقد صح بالبرهان ان الموت حكمة ورحمة. وفيما بيناه وشرحناه في رسالة حكمة الموت كفاية ، فاقنع توفق ان شاء الله تعالى .



(١) سورة الزمر آية ٥٦ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥٢ .

(٣) سورة سبأ آية (٥٤) .

(٤) سورة الأنعام آية (١٥٨) .

الفصل الثاني

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، ان الذين ذكروا الهيولى والصورة ، عنوا ان العقل صورة النفس وتمامية له ، وانها هيولى له لقبولها آثاره وإشراقها بنوره . فهو مودعها (١) صورة التمام ومبلغها درجة الكمال .

وأما من قال بالنور والظلمة ، يعني بنور العقل ، فقد يكون هو الذي لا كدر فيه ، والنفس بميلها إلى الطبيعة تظلم عليها سبلها إذا أقبلت عليها وتخلت عن العقل فتكون حينئذ مظلمة .

وأما من قال اللوح والقلم فانما عنى به العقل والنفس لأن ما كتبه القلم لاح في اللوح المحفوظ (٢) .

وأما من قال الجوهر والعرض فانما عنى الجوهر إذا كان أبا الجواهر ومجوهرها وعنصر العناصر ومعنصرها ، والنفس بالنسبة اليه وكونها عنه عرض منه ، وجوهر بالنسبة إلى غيرها ، وغيرها جوهر بالنسبة إلى غيره مما دونه .

---

(١) في نسخة (س) وردت : مودع عندها .
(٢) سقطت في نسخة (ق) .

واما من قال الروحاني والجسماني فانما عنى بالروحاني العقل إذ هو روح القدس المحض(١) الذي لا كدر فيه ولا كثافة تلحقة وعنى بالجسماني النفس بالنسبة إلى العقل لاتحادهابالأجسام وميلها إلى الطبيعة والنفس روحانية بوجه اقبالها على العقل، وجسمانية بوجه اقبالها على الطبيعة .

واما من قال البسط والقبض فانما عنى ببسط العقل انواره وفوائده ونعمه على النفس، وبالقبض قبض النفس ما تستفيده منه وافادتها من دونه وقبضه عنها وأخذه منها .

وأما من قال المحبة والشوق فانه عنى بالمحبة اقبال العقل على النفس بالمحبة إذ هو لها كالآلات (٢) .

واما الشوق فشوقها إلى فوائده وتلقيها نعمه .

واما من قال الحركة والسكون فانما عنى بالحركة العقل لتحريكه بأمر مبدعه بظهور الأشياء عنه . وبالسكون سكون النفس واطمئنانها به .

واما من قال الوجود والعقل فانما عنى بوجود العقل الذي هو موجود قبل فيض الجود من الواحد المعبود لا إله إلا هو ، فهو سبب وجود كل موجود .

واما العدم ، فقد عنى به النفس إذ كانت معدومة من العقل

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) وردت في نسخة م (كالآلة) .

بالنسبة اليه وبتقدمه عليها وهو اصل وجودها .

واما من قال الزمان والمكان فانما عنى بالزمان العقل إذ كان هو زمان (١) الازمنة ودهر الدهور ، وعنه بدت الحركة التي هي اصل الزمان . وعنى بالمكان النفس إذ كانت مكاناً يلقي اليها فيه العقل من فوائده وعند تلقيها ذلك منه واتساعها له فتكون هي المكان وهو المتمكن وهو الزمان وهي المتزمن .

وأما من قال الدنيا والآخرة فانما عنى بالدنيا النفس ، إذ كانت سبباً لعمارتها وحياة عالمها ، وبالآخرة العقل إذ هو دار الحياة ومقر الرحمن ومكان اهل الدنيا منه رجوعهم إلى الآخرة. وانصراف النفس إلى العقل ورجوعها اليه .

واما من قال العلة والمعلول فانما عنى بالعلة العقل ، وبالمعلول النفس إذ كان العقل علة النفس وسبب وجودها .

واما من قال المبدأ والمعاد فأنما عنى مبدأ العقل ، إذ هو اصل بداية الأشياء ومعاد النفس ، لأن اليه عودتها وقت استفادتها وقبول مادتها . والذي قال الظاهر والباطن ، فانما عنى بالظاهر العقل لظهور آياته وبيان موجوداته ، والباطن النفس لبطون جريان قواها ، وكذا روحانيتها في بواطن المحسوسات ، وخفايا الجسمانيات ، ولطائف الطبيعيات . فهذا البيان واضح البرهان وقد اتفقت عليه أقوال الحكماء في مقاصدها وأغراضها واختلفت في لغاتها وأقوالها وألفاظها .

---

(١) وردت في نسخة ق (زمن) .

الفصل الثالث

إعلم يا أخي (١) أيدك الله وايانا بروح منه ، انه لما كان الاسمان العلويان قد وقعا على الأصلين اللطيفين في العالم العلوي، فقد كان بازائهما الناطق والامام في العالم السفلي ، ولذلك قالت الحكماء ونطقت العلماء ، بما هو ظاهر بالحس ، وموجود باللمس ، من كثيف ولطيف ، ورطب ويابس ، وخفيف وثقيل ، وحي وميت ، وزائد وناقص ، وجامد ونام ، وناطق وصامت ، وذكر وانثى . وكل هذا اشارة إلى النفوس الجزئية والأجسام الطبيعية التي دون فلك القمر في عالم الكون والفساد ، لأن محل الناطقة فيها كمحل للعقل في العالم الأعلى وفي سدرة المنتهى .

والطبيعة هي النفس الكلية العاقلة للعقل الكلي ، والنفوس الجزئية هي العاقلة للعقل الجزئي ، وقوى الطبيعة لها كالنفوس الجزئية ، فاذا اقبلت النفوس فيض النفس الكلية بوساطة الأفلاك العالية وتبعت المرسلين المؤيدين لها من الملائكة ، ارتقت (٢) من محل رتبة الجزء إلى فسحة (٣) الكل ،واتصلت

(١) في نسخة (م) وردت (أيها الأخ) .

(٢) في نسخة (س) وردت (ارتفعت) .

(٣) في نسخة (م) وردت (فسحات) .

بمكان الملائكة عند سدرة المنتهى ، حيث لا تدرك صفة لذلك المكان لرجوع النظر عنه خاسئاً وهو حسير . وأما الآيات والوقوف عليها ليلا ونهاراً في الارض والسموات فقد قيل: وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم وأقبلتم على اللذات الجسمانية والشهوات الطبيعية حتّى سلبت منكم الآلات ، وأخذت منكم المطايا ، وبقيتم في ظلمات التيه ، ثم جئتمونا يوم القيامة في اليوم الموعود والوقت المعلوم ، فرادى كما خلقناكم أول مرة ، ما نرى معكم من شفعاء فيشفعوا لكم ولا افعالا صالحة ، أو اعمالا زكية ، فيزول عنكم العذاب الأليم ، فعند ذلك يقولون يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ؟ قيل لهم او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ، وفيه عبرة لمن اعتبر ، وعمل لمن أراد ان يعمل صالحاً أو اراد شكوراً .

فياليت شعري إلى من يتجه هذا الخطاب ؟ ألى الأنفس الجزئية بمجردها أم إلى الاجسام البالية التي قد صارت تراباً ؟ إن الله سبحانه وتعالى خاطب أولي الألباب ، وكل من يقبل الخطاب ويرد الجواب . فأين يذهب من يكذب بهذا البرهان ؟ هل له إلا سوء المآب وأليم العقاب ؟ ونجانا الله ايها الأخ واياك من هذه الفتنة وعليك ان لا تصغي (١) إلى هذه الفئة الهالكة الضالة المضلة أنت وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد ، إنه رؤوف جواد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) في نسخة (م) وردت (لا تسمع) .

الفَصل الرابع

اعلم يا اخي أيدك الله وايانا بروح منه ، ان العالم انسان كبير له نفس وروح وهو حي ، عالم ، طائع لباريه ، خلقه ربه جل ثناؤه تاماً كاملا (١)، وجعل الخلائق داخلون فيه بأجمعهم(٢) فهو جملتهم وليس خارج العالم شيء آخر لا خلاء ولا ملاء ، وليس العالم في مكان،وكلما فيه في مكان موكل كل واحد منه بالمكان اللائق به،بحسب وما يوجد ما يمكنه فيه ومنه وعليه وما به وما يأتي منه وكل ذلك في الامكنة وبتقدير الأزمنة ، وان منه وفيه وموكل به ملائكة الله عز وجل ، لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وكل في فلك يسبحون .يسبحون الليل والنهار لا يفترون كما حكى الله عز وجل عنهم :

«وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» (٣) .

---

(١) سقطت في نسخة (م) .

(٢) في نسخة (ق) سقطت (بجميعهم) .

(٣) سورة الصافات آية (٣٤ و ٣٥ و ٣٦) .

وأنه لما كان الانسان عالماً صغيراً ، مختصراً من العالم الكبير ، الذي هو انسان كبير ، فقد بينا في رسالة الانسان ، ان الانسان عالم صغير بماهيته وكيفيته وكميته وكيفية بعثه ، وانه مختصر من العالم الكبير . ونريد (١) أن نذكر هنا في هذا الفصل ، من هذه الرسالة « جامعة الجامعة » ، كيفية بنية العالم بأسره ، وانه انسان كبير مماثل لصورة الانسان الذي هو عالم صغير ، ليعاينه المتأمل بعين البصيرة ، فيكون له عبرة ويعلم ان الله سبحانه مطلع على خلقه ، لا يغرب عنه من أمر عالمه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وهو الكتاب الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه لما وقفوا عليه وبانت قراءته وتدبروا آياته :

«مَا لِهَذَا الْكِتَابِ – لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ،وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً»(٢)

وهو اللوح المحفوظ الذي فيه صورة الأشياء ، والكتاب المسطور والرق المنشور لمن أحسن قراءته وتدبر آياته ، ووقف على علاماته . والسقف المرفوع باذن الله عز وجل ، والبحر المسجور لئلا يحيط بمعرفة ما فيه ابليس اللعين .

---

(١) في نسخة (م) وردت (فنذكر)

(٢) سورة الكهف آية ٥٠ .

«هٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ (١)» وهي الصورة التي صور عليها عالم الانسان ، وهو الشخص المتحدة فيه النفس الكلية والمتحدة فيها العقل ، وأمر الله سبحانه وتعالى محيط بهما احاطة القدرة المبلغة عمن دونها بمشيئة إلى اعلاها المتصرفة فيها كما تشاء .

فالعقل المقبل بالطاعة ، المشرق بأنوار التأييد ، والنفس الكلية صورة صادرة عنه بأمره ونهيه (٢) القابلة منه جوده وفيضه ، والأفلاك السبعة جوفه والكواكب السبعة جواهره ، والبروج الاثنا عشر حواسه والقوى النفسانية السارية فيه روحه وأنفاسه (٣) وأجناس مواليده وغرائب ما في جسمه من فنون أشكاله ، وعجائب اوصاله ، وعالم الكون والفساد يداه الباسطة والقابضة .

كما ان الشمس والقمر عيناه وذواته الساطعة ، ومركز الأرض والطبيعة رجلاه ، وأمر الله عز وجل محيط به ، وهو سابح في فلك القدرة وحجاب المشيئة ، والله مطلع عليه محيط به احاطة تقدير وتدبير ، ولم يعنه عليه معين ولا ظهير ، ولا احتياج في خلقه إلى إجالة تفكير ولا مشاورة مشير ، سبحانه

---

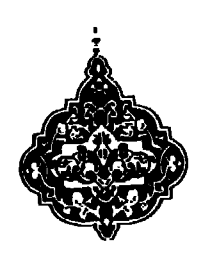
(١) سورة لقمان آية ١١ .

(٢) سقطت في نسخة (ق) .

(٣) في نسخه(ق) وردت (نفسه) ولعلها الأصوب .

وتعالى هو العلي الكبير .

فهذا القول يدل على ان العالم انسان كبير ، والانسان عالم صغير مختصر منه مستخرج من جملته ، ومؤد عنه مادته ، وقابل منه افادته . وقد رتبنا في « رسالة الانسان عالم صغير » مطابقة جواهر الانسان وبنية جسده لما في العالم الكبير من الموجودات بأسرها والمواليد كلها عاليها وسافلها ، فكان الغرض المقصود من هذا الفصل ، اعني فصل العالم انسان كبير ، معرفة الموجودات الجنسية والنوعية والشخصية عن جنس الأجناس ، كمثل قبيلة لها شعوب ، ولشعوبها بطون ، ولبطونها افخاذ ، ولأفخاذها فروع ، ولفروعها عشائر وأقارب ، وكمثل شريعة واحدة فيها مفروضات (١) كثيرة واحكام معينة ، ولتلك المفروضات سنن مختلفة ، وحدود متغايرة ، يجمعها كلها دين واحد .



---

(١) في نسخة (ق) وردت (فرائض) .

الفَصل الخَامس

اعلم يا اخي ايدك الله وايانا بروح منه ، ان النفس بجميع قواها المنبثقة (١) منها ، هي جوهر واحد وصورة ملكية ، وانها تكون مستعينة بقواها وجواهرها ، إذا ما فارقت الاجسام الارضية ، وتخلت عن الشهوات الطبيعية ، وذلك انها ذات اربع فروع ، كشجرة تفرع منها اربعة غصون : فمنها عاقلة مميزة ، وناطقة معبرة ، ونامية ، وحيوانية ، وهي درّاكة بالقوة ، فعالة بالطبع ، وذات سبع قوى : عاقلة وحافظة ، وذاكرة ، ومتخيلة ، ومفكرة ، وناطقة ، وعلاّمة .

وينبث منها اثنتا عشرة روحانية تتصل بدوائر البروج الاثني عشر ، وسبع مواد نفسانية تمد الكواكب السبعة ، وتسري منها في الطبيعة اربع مواد ، تهبط كل مادة منها من باب من الابواب التي هي آلاتها حتى تنتهي إلى فلك القمر ، وإلى عالم الكون والفساد ، وعندها تتصل ببعضها البعض ببروز المعادن ، وبعضها بخروج النبات ، وبعضها بالحيوان ، وبعضها بالانسان ، وهي

(١) وردت في نسخة (م) المبثوثة .

بهذه الصورة مماثلة لصورة الجسم المبني بالحكمة اللطيفة ، والصنعة المتقنة ليأوي اليه ويأنس به . كذلك جميع اجسام الحيوان فهي مبنية على مثال الصورة الانسانية (١) بالزيادة والنقصان ، ولكنها معكوسة البنية مردودة إلى اسفل السافلين لانها ذات طبيعة ثقيلة ، واخلاط رديئة مظلمة ، فلذلك انعكست . وان منها : النفوس الرديئة الدنيئة الناقصة ، ومنها ما هي صم بكم عمي ، فهذه الصفة عالم النفس بجميع ما فيه من القوى النفسانية والحركات الروحانية ، وهي نفس واحدة وانسان واحد العقل روحه ومدبره ومحيط به ، وكذلك العقل فهو جوهر واحد شفاف فاضل (٢) كله ، لا تباين فيه ولاتغاير ، ولا يفسد ولا يضمحل ، ولا يهبط ولا يزول ، ولا يتحد كاتحاد النفوس بالاجساد ، وانما اتحاده بجواهر النفوس المتحدة بالطبائع الصافية ، فيكون اشراقه على النفوس بحسب اشراق بقاعها الطاهرة وعندئذ يظهر فيها انواره ، وينشر عليها بركاته وهو بجواهره (٣) العالية ، واقسامه الفاضلة ، ونهاياته الكاملة ، انسان واحد . وان روحه هي سبب بقائه ودوامه ، وامر الله عز وجل وفيضه متصل به لا ينقطع عنه ، وهو صفو كله

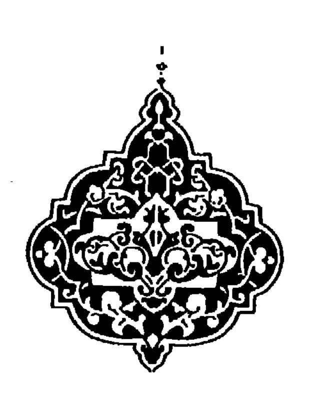
---

(١) في نسخة (ق) وردت الانسان .

(٢) سقطت في نسخة (م) .

(٣) في نسخة (م) وردت بالجواهر .

والامر متحد به ، ولا فرق بينهما ، ولا يفترقان كافتراق الروح عن الجسد ، ومباينة اللطيف من الكثيف ، بل جل ذلك الجلال ، علماً بالصفة التي توصف به النفس والهيولى والجسم والطبيعة ، فلا موجود يوصف بصفة قط ، ولا من هو سبب وجود كل موجود المانح الجود لكل موجود . وان قبول الجود هو سبب الاسباب . فاعلم ايها الاخ هذا العلم الجليل ، وتفكر فيه فقد بان الهدى لطالبيه ، واتضح طريق الهداية لسالكيه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .



الفصل السادس

اعلم أيها الاخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان العالم كله وما فيه داخل في امر الله سبحانه وتعالى ، غير خارج عنه ، ولا هارب منه ، وانه في قبضته وتحت ارادته ، اوله واعلاه ، واقربه من باريه العقل ، وهو مثل الحجاب الاعظم ، والباب الاكبر ، الذي منه الوصول إلى توحيد الله والنظر اليه والوقوف بين يديه ، وهو اول الاسباب ، وله في العالم السفلي مثل ، إذ كان كل شيء مما دون الباري سبحانه وتعالى زوجين اثنين ليكون هو الواحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، وهو وجه العالم السفلي ومدبره ، والقاضي بينهم فيما هم فيه مختلفون. ثم النفس الكلية وهي ثاني العبيد العظام والملائكة الكرام ، وهي الكرسي الواسع الذي وسع السموات والارض، ولها مثل في العالم السفلي ونظير هي النفس الجزئية المحيطة بجميع مواليد الاجسام الطبيعية كاحاطة النفس الكلية بجواهر الافلاك السماوية . ثم الهيولى الاولى وهي ذات اجرام الافلاك ونظيرها في العالم السفلي الهيولى ذات الامهات . ثم الصورة النفسانية المحتمة لعالم الافلاك

---

(١) في نسخة (س) وردت المثول .

المعطية لها صورها المستحقة لها ، المرتبة في اماكنهااللائقة بها ، المفيضة عليها بانوارها المطلعة عليها اطلاع الاحاطة بها ، لا تغيب عنها بانوارها . وكذلك نظيرها في العالم السفلي الصورة الانسانية التي هي كمال الاجسام الطبيعية والاشخاص الحسية . ثم الجسم المطلق بجميع (١) ما فيه وهو الفلك المحيط في العالم الاعلى بجميع الافلاك وبما فيها ، وكذلك مركز الارض محيطة بجميع ما عليها . فالاشياء كلها مرتبطة بعضها ببعض وامر الله محيط بها كلها لا يغيب عنه شيء من جميع آفاقها فهو مطلع عليها اطلاع الاحاطة بها .

فهذه معرفة قراءة الذي كتبه ، والنظر إلى السقف الذي رفعه ، والمنزل الذي وضعه ، وبحر العلم الذي سجره عن ابليس وجنوده لئلا يصلوا اليه ، فحرام على من وصل إلى هذا العلم وقدر عليه ألا يصونه كل الصيانة فانه مطالب به ومسؤول عنه :

«يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» (٢)

---

(١) سقطت في نسخة (ق) . (٢) سورة آل عمران آية (٣٠) .

الفَصل السابع

اعلم يا أخي ايدك الله وايانا بروح منه ، انه من الحكمة ما لا يستغنى ان تخلى هذه الرسالة « جامعة الجامعة » من ذكره ، واعادة القول عليه فيها ، إذا كان قولا يدل على المعرفة في الاشياء بما فيها وما هي ؟ ولتكون هذه الرسالة قائمة بما يحتاج اليه إذا غابت الرسائل بأسرها فتكون قائمة مقامها . واعلم ان الله سبحانه وتعالى لو قبض جوده عن النفس الكلية بوساطة العقل لذهب العالم بأسره ، وبطلت اقسامه وفسد نظامه في لحظة واحدة . وانه كما كانت قد قالت الحكماء : ان الجسم الكلي قائماً ، عنوا به العالم بأسره،والنفس الكلية المحركة ، والعقل الكلي ، عنوا القوة الالهية المؤيدة للنفس الكلية ، السارية في جميع الاجسام المحركة لها ، المحيطة بها المظهرة لها وبها ومنها افعالها . وإذا قالوا الهيولى ، فانما عنوا به انه (١) الجوهر الذي له طول وعرض وعمق فهو جسم مطلق ، وإذا قالوا الاجسام البسيطة ، فانما عنوا الافلاك ، والكواكب ، والاركان الاربعة

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

التي هي النار والهواء والماء.والارض ، وإذا قالوا : الانفس البسيطة ، فانما عنوا قوى النفس الكلية المحركة المدبرة لهذه الاجسام السارية (١) وهذه القوى تسميها الحكماء في كتبها ورسائلها بالملائكة الروحانيين . وإذا قالوا الاجسام المولدة ، فانما عنوا انواع الحيوان ، والنبات ، والمعادن وإذا قالوا الانفس الحيوانية ، والنباتية ، والمعدنية ، فانما عنوا قوى الانفس البسيطة المحركة المدبرة لهذه الاجسام ، المولدة السارية فيها ومنها افعالها وخواصها ومنافعها . فاذا قالوا الاجسام الجزئية فانما عنوا اشخاص الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، وغيرها من المصنوعات على ايدي البشر . واذا قالوا الانفس المتحركة فانما عنوا قوى النفس الحيوانية ، والنباتية والمعدنية ، السارية في الاجسام الجزئية ، والمحركة المدبرة لها ، المظهرة بها ومنها افعالها واحداً بعد واحد من الاشخاص الموجودة تحت فلك القمر . ومن هنا (١) فقد ظهر بالبيان وبان البرهان ان العالم بجملته كمثل انسان واحد طائع لباريه شاهد لخالقه بالوحدانية .

---

(١) سقطت في نسخة (ق) أيضاً .

(٢) سقطت في نسخة (ق) .

الفصل الثامن

إعلم يا اخي أيدك الله وايانا بروح منه ، ان الحكماء اذا قالوا النفوس الجزئية فانما يعنون القوى المنبثة من النفس الكلية الهابطة الى المركز السفلي ، المساقة الى عالم الطبيعة ، المتخلفة عن قبول الافاضة العقلية التي لحقها (١) الفتور عن التسبيح والتقديس في محل الانوار ، فهبطت الى قرار المراكز ووقعت بتكليف العبادة وصعوبة الطاعة بالأدلة(٢) الجسدانية ، والأشخاص الطبيعية ، وكانت بنوع ليست هي فيه الآن واليه ترجع اذا ثابت وأنابت من خطيئتها ، واستقالت من عثرتها ، ولذلك يعطف الكل عليها ، ويأنس اليها ، وقد ارسلت الرسل والمنذرين وأمدتهم بالملائكة المقربين ، فاذا ثابت وأنابت عادت الى روح وريحان وجنة رضوان ورب غير غضبان ، وان عصت وأبت واستكبرت وعن المنذرين تخلفت ، وان ذكرت لم تتذكر ، وان بصرت لم تبصر وتحيرت وتقطعت ، كتقطع السيل المنحط من ذروة الجبل في تخوم الأرض وصارت في ظلمات أسفل السافلين ، فهي تارة تنزل بالفساد وتارة تطلع بالكون الى محل الاجساد ، وتارة يتصرف بها

(١) في نسخة (م) وردت (لحقتها) .

(٢) في نسخة (ق) وردت (بالدلائل) .

الزمان وتغاير الأيام ، فتبيت في الآفاق ، وتقطع امماً ، ثم يكون جمع الفها وضم شتاتها .

وانه اذا آن الوقت المعلوم والأجل المحتوم ، وجاء وقت الختام ، وتم التمام ، وجاء ربك في ظل من الغمام ، وحضرت الملائكة الكرام ، وبرز الرب لفصل القضاء ، واحضرت الرقباء ، ونصبت الموازين ، ومد الصراط المستقيم للجائزين بين الجنة والنار ، ونودي للشهداء اشهدوا على المذنبين فشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ، وختم الله على أفواههم ، وتكلمت جلودهم بما كانوا يعملون ، يوم«لاَ ينْفَعُ نَفْسٌ إيمانُها إنْ لَمْ تَكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبْل ، أَوْ كَسبتْ في إيمانِها خَيْراً» (١) .

وذلك اليوم الموعود هو يوم بروز النفس الكلية ليعرض عليها قولها المنبث منها البعيد عنها ، لترده اليها وتقربه منها ، ومثلها عند ذلك كمثل الملك الذي بث جنوده ، وفرّق اعوانه بأطراف مملكته ، وولاهم الولاية وأمرهم ونهاهم وانفذ اليهم رسله وحجابه وخاصته ، ومنهم من قبل ومنهم من تخلف عن الطاعة وعصى وقتل الذي أرسل اليه وتكبر عليه . فلما بلغت نهايتهم جمعهم من اطراف وأقاصي دولته ، ثم برز اليهم بنفسه ليحاسبهم ويجازيهم، فمن طاع وأناب وقبل وتاب

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٨ .

أنعم عليه وأحسن اليه وقربه من محله وأسبغ عليه نعمته وشملته رحمته، ومن خالف أمره، وخرج عن نهيه(١)، وارتكب محارمه، وانتهك مآثمه، وقتل رسله وأصفياءه، خلده في العذاب المهين والبلاء المقيم. وكما ان فعل الملك برعيته وجنوده وأهل مملكته بتأييد من الله سبحانه وتعالى له، كذلك يؤيد الله النفس الكلية يوم القيامة بأمره كما قال سبحانه وتعالى:

«يوْم يقُوم الرُّوح والْملاَئكَةُ صفًّا لاَ يتَكَلَّمونَ إلاَّ منْ أَذنَ لَه الرَّحْمن وقَال صواباً» (٢)

ويكون الحاكم والقاضي الله سبحانه وتعالى، والملائكة شهود على الانفس بما كسبت ومناولوها كتبها. كما أن سيرة التنزيه والاعظام جائزة (٣)في ملوك البشر ورؤسائهم اذا كان امرهم ونهيهم جاري فيهم الى رغبتهم وحسابهم الى أيدي خواصهم وأهل القرب منهم، وما فعلوه بأمره فهو منسوب اليهم كما يقال قتل الملك فلان، ولم يكن قتله بيده ولكن بأمره ولذلك قال الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«وما رميْت إِذْ رميْت ولكِنَّ اللهَ رمى»(٤).

وعلى هذا المثال جرى ذلك.

---

(١) في نسخة (ق) وردت (طاعته).

(٢) سورة النبأ آية ٣٨.

(٣) وردت في نسخة (س) تجوز.

(٤) سورة الأنفال آية ١٧.

الفصل التاسع

إعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه ،ان جميع أمور الدنيا وما يجري فيها من الأعمال والافعال، إنما هي آثار (١) واشارات الى ما يكون في يوم القيامة . فكما أن الناس في بيعهم وشرائهم وأخذهم وعطائهم ، وما يتصرفون فيه من امور معيشة الدنيا ، وأنهم لا بد لهم في جميع ذلك من الميزان والكيل ، والحساب والكتاب والشهور والربح في التجارة والخسران فيها ، والنعيم مما يصير اليهم من الربح ، وحسن الحال ، والبوار ، والهلاك ، وقلة المال ، وللخسارة ، ثم انهم لابد لهم في كل مدينة يجتمعون فيها من الآفاق والعمارات (٢) وقضاة وحكام يرجعون اليها فيما يختلفون فيه ، ويثبتون الحقوق ويحكمون بها لأهلها بعد اثباتها (٣) وحضور العدول والشهود والكتب ، ثم بعد ذلك إعطاء الحكم على من استحقه، وأخذ ما اغتصبه ، واستخراج من ظلمه بالسجن والهوان والعذاب ، وان اولئك الحكام والشهود في جميع الآفاق

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سقطت في نسخة (ق) أيضاً .

(٣) في نسخة (م) وردت (تثبيتها) .

والأمصار ، فانما يحكمون بحكم دين واحد وشريعة واحدة جاء بها رسول واحد من عند الله عز وجل ، فكذلك يكون حال الناس يوم يجمع الله العالم ، ويحضر الشهود ، وينصب الموازين ، وتبرز النفوس بأعمالها لتوزن بالميزان عند فصل القضاء ، ووجوب الجزاء .

وكما ان من سنن القضاء في دار الدنيا ، البروز في كل سبعة ايام يوماً واحداً لفصل القضاء بين الناس ، وتفقد امورهم ، واستخلاص حقوقهم وانصاف مظلومهم من ظالمهم ، واخذ الحق ممن اغتصبه ، ورد الحق الى مستحقه ، كذلك يكون الناس في كل سبعة آلاف سنة وهي مثل السبعة ايام التي تبرز فيها النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية وعرضها كما قال الله عز وجل :

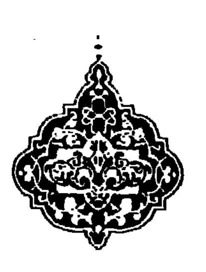
«وجِيءَ بالنَّبِيِّين والشهداءَ وَقُضِيَ بَيْنَهمْ بالْحقِّ وهمْ لا يُظْلَمُونَ ، وَوُفِّيَت كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ» (١) وقال الله سبحانه وتعالى : «فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً (٢) وإنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين» .

---

(١) سورة الزمر آية ٦٩ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٤٧ .

وروي عن النبي ﷺ انه قال : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها الف سنة (١) وقال : لا نبي بعدي. وقال : في اخر حياة هذه الامة تقوم القيامة (٢) .



(١) يعتقد إخوان الصفاء أن إبتداء عالم الدين منذ عهد آدم وينتهي بالقائم المنتظر ، وإن عدد النطقاء سبعة هم : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والقائم المنتظر ومعنى قول النبي محمد بعثت في آخرها ألف سنة أي أن دوره ألف سنة ، كما أن دور كل ناطق قبله ألف سنة ، وهذا معنى سبعة آلاف أي كل ناطق يكون دوره ألف عام .

(٢) معنى قيامة القيامة لدى إخوان الصفاء هو ظهور القائم المنتظر .

الفصل العاشر

اعلم ايها الاخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان هذا الفصل عظيم وقدره كبير ، ولم تكن الحكماء ولا الاقدمون من العلماء يطلقون القول فيه او الكلام عليه فيما وضعوه من الكتب الا رمزاً خفياً وكانوا يناولونه من وثقوا به من تلامذتهم (١) واولادهم مناولة ويودعونه عندهم بالمشافهة ، مخافة ان يظفر فيه أهل الزيغ والخلاف (٢) وانما نريد ان نبين منه في هذه الرسالة بقدر ما يمكن وما لا يخرج عما اعتمد عليه القوم وأشاروا في كتبهم اليه، لكننا نريد البيان والتوضيح في البرهان كما قد تقدم من الشرط لهذه الرسالة «جامعة الجامعة» ، وأن نجمع فيها من الاغراض ما يليق باسمها الفاضل ومحلها الكامل ، لتكون مغنية لمن وصل اليها بما فيها عما سواها ، إذا فهم معانيها وبان له ما فيها، وانت ايدك الله بروح منه تجد السبيل إلى ما القيناه اليك بما خصك الله من البصيرة في الدين ، وحسن الظن بالله واليقين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(١) في نسخة (ق) وردت تلاميذهم .

(٢) سقطت في نسخة (س) .

الفصل الحادي عشر

اعلم ايها الاخ ايدك الله وايانا بروح منه ان معنى قول الله عز وجل :

«وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَة إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ» (١) .

وهذا الخطاب كان يوم الميثاق وهو يوم العرض الاول ، وهو يوم بمعنى التشبيه والمثال كيوم من ايام الدنيا وليس هو كذلك في الحقيقة ولكنه يوم يخرج بصفته عن حد حركة الزمان ويكون داخلا تحت حركة النفس الكلية ، ولما كان الزمان يقوم بحركة الفلك كانت ايامه معروفة بطلوع الشمس وغروبها ، وهو مثل اوامر تكليفية ، ونواة شرعية وعبارات ناموسية ، وليس ذلك موجوداً في ايام حركة النفس الكلية ، إذ ان الشمس في ذلك الوقت غير موجودة ولا حاجة اليها كما قال الله عز وجل « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا » (٢)

---

(١) سورة الأعراف آية ٧١ .

(٢) سورة الدهر آية ١٣ .

واذا أرتفع وجود الشمس أرتفع وجود الزمان ، ويفصل الليل من النهار ، ومدة الايام والشهور والسنين وصار العالم كله نوراً كلياً لا جزئياً لاشراق النفس الكلية وظهورها كظهور الشمس في عالم الكون والفساد ، فكذلك يكون بروز النفس الكلية وتجليها بأمر الله عز وجل يوم القيامة كتجلي الشمس للعالم في ايام الدنيا كما ان حياة العالم بأسره وسعادتهم وهلاكهم وعذابهم في الدنيا بالشمس لان من ادام الكون فيها احرقت جسمه ونشفت دمه وكان بها صلاح الاشياء ايضاً كذلك النفس الكلية في يوم القيامة فهي متولية حساب الانفس الجزئية وبها يكون النعيم لاهل الجنان والعذاب لاهل النيران . فهذه كيفية معرفة ومحاسبة النفس الكلية للانفس الجزئية بالوجيز من القول والمختصر من الكلام وبالتلويح والاشارة (١) وإلى هذا اشار(٢) سبحانه وتعالى بقوله (٣) :

«يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَــا» (٤) . وقال تعالى :

« كَمْ لِبِثْتم في الأَرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً بَعْضَ يَوْمٍ » (٥) .

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .
(٢) في نسخة (ق) وردت قال .
(٣) سقطت في نسخة (ق) .
(٤) سورة المائدة آية (١١٣) .
(٥) سورة المؤمنون آية (١١٣) .

الفصل الثاني عشر

اعلم ايها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، ان كثيراً من الناس إذا سمعوا بذكر الوزن يوم القيامة وحضور الموازين ، يظنون ان الأعمال تصير في ذلك اليوم شيئاً ، فتجتمع أجساماً وتحصل في الميزان وما بين يديها مما يوزن بها وربما زادت وربما نقصت ، وان السيئآت ربما زادت على الحسنات ، وان الحسنات ربما زادت على السيئات وماشاكل ذلك ، كمايشاهدون في امور الدنيا من وزن الذهب والفضة والأمتعة من المآكل والمشارب ، وغير ذلك مما تتخيله الصبيان والنساء ومن لا عقول لهم من الرجال مثل الهبلة (١) والمجانين والمتخلفين عن اتباع الرسل والأئمة العارفين والمستبصرين

«هُمْ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً» (٢) .

كما اخبر سبحانه عنهم وهو أصدق القائلين . فأما اهل العلم والحكمة الذين وقفوا على اسرار كتب الأنبياء الصادقين والحكماء الراشدين ، فيعلمون ان الموازين المنصوبة يوم القيامة التي توزن بها الأعمال أي اعمال العباد من خير وشر ، انما هي صور نفسانية صافية (٣) شفافة تتراءى فيها الأعمال لأصحابها.

---

(١) سقطت في نسخة (ق) . (٢) سورة الفرقان آية (٤٤) .

(٣) سقطت في نسخة (س) .

فينظر فيها العامل إلى عمله ، فاذا كان خيراً فخيراً ، وان كان شراً فشراً ، وهي الكتب التي اذا قرأها من أوتيها من وراء ظهره ، قال :

«يَالَيْتَنِي لَمْ اوُتَ كِتَابِيَهْ (١) ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ» .

أي يا ليتها كانت آخر الوجود حتى لا يكون له بعد ذلك وجود يصل به إلى العذاب الأليم والهوان المقيم

«فَأَمَّا مَنْ أُوتي كِتَابَهُ بِيَمينه ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسيراً (٢) ، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْله مَسْرُوراً» .

نعني انقلابه إلى أهله رجوعه إلى الجنة التي ألفها وعرفها مسرورا محبوراً بالكرامة فائزاً بالسلامة من أهوال يوم القيامة ، وهذه الكتب يا أخي بأيدي الملائكة الحفظة (٣) الكرام البررة الذين يكتبون اعمال بني آدم ، وهم اصحاب الوزن يوم القيامة .

وأما أصحاب الأعراف منهم الذين يعرفون أهل الدنيا بسياهم ويعرفهم اهل الدنيا ، وبخروجهم عن طاعتهم فيها وتكبرهم عليهم وقولهم :

(١) سورة الحاقة آية (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) .
(٢) سورة الانشقاق آية (٧ ، ٨ ، ٩) .
(٣) في نسخة (س) وردت (الحافظين) .

«مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا (١) وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ» .

وانما قيل لهم اصحاب الأعراف لانهم اهل المعارف ، فطوبى لمن عرفهم بجلالة المنزلة وعرفوه بحسن الطاعة ، ففاز بالسعادة وظفر بالسلامة ، وهم اصحاب الشفاعة لشيعتهم وأوليائهم وأهل ودادهم في الدنيا ، والذين كفروا لا شفاعة لهم لأنهم اتخذوا انفسهم آلهة وتسموا (٢) بأسماء ما أنزل الله من سلطان وقال :

«لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعاً ، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً» (٣) .

وقالوا : «أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا (٤)

فعند ذلك في يوم القيامة يضرب

«بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ (٥) الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» .

---

(١) سورة يس آية (١٥) .

(٢) في نسخة (م) وردت (وسموا) .

(٣) سورة نوح آية (٢٣ ، ٢٤) .

(٤) سورة يونس آية (٧٨) .

(٥) سورة الحديد آية (١٣) .

وأما أمثال هذه الموازين في الدنيا فهي التي توزن بها الاشكال ولا تجمع كاجتماع الأجزاء في الموازين المركبة كالاصطرلاب وأمثاله من الآلات التي يعرف بها الزمان بالنظر والعيان (١) وما مضى من الليل والنهار والباقي منهما بالزيادة والنقصان ، والمسطر في الاعوجاج والاستواء ، والذراع الذي يعرف به الطول والعرض .

وكما ان هذه الأشياء يعرف بها الانسان ما يلوح له بها ، وفيها من هذه الامور ، كذلك الموازين يلوح فيها لمن تأملها، افعال الخير والشر . وكما ان الناس لا يتباهتون ولا يقع بينهم الخلف (٢) والمكابرة عند معاينة الميزان ، ويسلموا لما يكون فيه ويظهر منه ، كذلك تكون تلك الموازين إذا أراد صاحب العمل القبيح وزن سيئاته ، وما قد عمله في ايام حياته وعرفه ولم نشك فيه وعلم علماً يقيناً ان ربه لم يظلمه وان عمله راجع اليه وواقع عليه . كما قال سبحانه وتعالى :

«وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً».وقال:

«يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً»(٤)

واننا سنزيد في ايضاح هذا المعنى ونكشفه كشفاً يكون فيه الوقوف على كيفية هذا الميزان ، اذا انتهى بنا القول إلى رسالة البعث والقيامة بحسب ما يمكن ان شاء الله تعالى .

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) في نسخة (ق) وردت (الاختلاف) .

(٣) سورة الكهف آية (٥٠) . (٤) سورة آل عمران آية (٣٠)

الفصل الثالث عشر

اعلم أيها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان العالم كله بأفلاكه العالية،وسماواته السامية ، وما فيه من الأنوارالروحانية ، والأنفس الطبيعية المتحركة ، والقوى السارية في الأركان الجسمانية ، وجميع الموجودات وسائر (١) المخلوقات ، وما حوته السماوات والأرض من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، كله جسم واحد متهيء لقبول الفيض الكلي من باريه سبحانه وتعالى ، وان كلمة الله عز وجل متصلة به تمده بالاضافة والجود ، وان اول فيضها وايجادها هو العقل الفعال ، ثم بوساطته (٢) وجدت النفس الكلية ، ثم الهيولى الأولى ، ثم بواسطتها (٣) وجد الجسم المطلق ، ثم انها انبثقت إلى العالم بأسره واختصت بالأشخاص الانسانيةالفاضلةوبالانبياءوالمرسلين المحقين ، والعباد الصالحين ، وان الصورة الانسانية خليفة الله في ارضه قائمة بتدبير عالمه السفلي ، وان لها في كل زمان وكل

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) في نسخة (س) وردت (بواسطته) .

(٣) في نسخة (م) وردت (بوساطته) وهي الأصوب .

اوان شخصاً فاضلا (١) يلقي عليها من امره ، ما يكون به صلاح أهل ذلك الزمان ودلالتهم عليه وعبادتهم له ، وانه هو المستخلف لذلك الشخص اما بكلامه او بوحيه او من وراء حجاب احاطة به بما بين يديه . فهو وجه الله ولسانه وترجمانه ، ومن يتلوه من اهله ، ويخلفه من رؤساء شريعته ، وأهل دعوته لاحق به أو لهم يكون اقربهم منه ، فوجهه في العلوي البسيط الروحاني العقل الأول ، وتاليه في عالم الأفلاك انوار السماوات السارية منه ، وفي هذا العالم الانساني صاحب شريعة رأس زمان العالم وأفضل الناطقين فيه المخبر بالحكمة ، ومن يتلوه شاهد على أهل شريعته واصحاب دعوته ، ثم تكون الامة كلها جسم واحد ، وذلك الجسم رأسه وخليفته أما قلبه وأصحابه فهم حواسه وآلاته ، وعلمه الباطن روحه ونفسه ، وعلمه الظاهر حركاته وعبادته وطهارته وصلاته وزكاته وصومه وحجه وجهاده ومفترضات دينه وسننه واحكامه ، والمحرك له بذلك ، المرسل اليه من يهديه ويرشده ربه جل اسمه بأمره وكلامه ووحيه فمن كان من العالم طائعاً ربه ، منقاداً لطاعة رئيسه ، عاملا بما جاءه من ربه عارفاً لحقائقه ، وموضحات طرائقه ، متمسكاً بظاهره ، مصدقاً بباطنه عارفاً بفرضه ، طائعاً لخليفته من بعده ، فهو ذو جسم فاضل بما يظهر من طهارته وصلواته وزكاته وصومه

---

(١) في نسخة (ق) وردت (كاملا) .

وحجه وجهاده لأعداء دينه من الكفار والمنافقين ، وذو روح حية خيرة (١) فاضلة شريفة تكتسب بذلك صورة شريفة ملكية يرتقي بها إلى درجات الجنان ، والدخول في زمرة الملائكة وفسحة الرضوان ، ذات الروح والريحان ، ومن اقبل على ظاهر الشريعة دون باطنها كان ذو جسم بغير روح ناقص الآلة ، فلا يزال مستخدماً في الشريعة مقارناً للطبيعة حتى يكتسب روحاً كاملة ونقمة شاملة ترفعه إلى السماء العالية والدرجات السامية ، ومن كان - يقبل على العلوم والآراء العقلية وهو متغافل عن اقامة الظواهر الشرعية والسنن التكليفية - فهو كروح بعدت (٢) من جسدها ، وفارقت مسكنها الساتر لصورتها ، فيوشك ان تنكشف سوأته ، وتنتهك في العالم عورته إذا خرج بصورته المجردة في غير اوانها ، ونطق بالحكمة بغير زمانها، ولم يعمل بموجبها ، وأمر غيره بما لم يفعله فذلك الذي قد قدم عقله - وفهمه فلا شك ان حقه يزهق وشمله يتفرق وعلمه يمزق ، اعاذنا الله وأياك ايها الأخ البار الرحيم من هاتين الطريقتين العادلتين بأهلهما عن الصراط المستقيم والحق المبين والطريق الواضح القويم ، وهدانا واياك الوقوف على الطريق الوسطى او الصراط الذي لا عوج ولا ميل فيه وهو الصراط المستقيم صراط الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) في نسخة (م) وردت (ابتعدت عن) .

واعلم يا اخي ان المغضوب عليهم هم الذين انقطعوا عن ظواهر النواميس الالهية ، والفرائض الشرعية ، ووقفت قوتهم عن الالتزام بالخصائل الدينية والتوحيد حين امرتهم الانبياء باقامتها والعمل بموجبها على حقيقتها ، ومعرفة حقائقها ، وحذروهم من تركها واهمالها ، إذا حضرت اوقاتها والضالون هم الذين ضلوا عن حقائقها وجهلوا (١) علومها ، واما الواقفون على الصراط المستقيم الذين لا هم بمغضوب عليهم ولا ضالين فهم الذين اتبعوا الانبياء على سننهم ، وتعلقوا بمن خلفوه من بعدهم من اهلهم واصحابهم الذين تركوهم لهداية الامم من بعدهم ، فهم بهم مؤمنون واليهم منقادون ولأ مرهم تابعون يعملون من الظواهر بما يأمرونهم به ، ويقيمون ما اقاموه لهم منها ، ويتحققون من العلوم ما القوا اليهم من (٢) حقائقها، فهم بذلك آمنون من الفزع الاكبر ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فتدبر هذا الفصل وتفكر به ترشد ان شاء الله تعالى .

---

(١) وردت في نسخة س تجاهلوا

(٢) سقطت في نسخة ق .

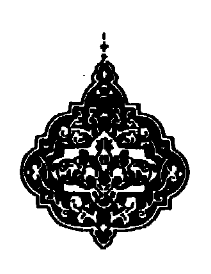
الفصل الرابع عشر

اعلم ايها الأخ البار الرحيم ايدك الله وايانا بروح منه ان هذا الفصل من رسالة « جامعة الجامعة » في البعث والقيامة ، والحشر والنشر وكيفية المعراج وعلمه ، وهو المبدأ والمعاد والغرض من رسائلنا كلها واليه المنتهى ، وهو الغاية القصوى ، والمنزلة العليا ، والماء المعين ، والعلم اليقين ، والحق المبين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين، واليه اشار الله بقوله سبحانه وتعالى: «تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » (١)

وقد رمزنا بهذا العلم الجليل ولوحنا بذكر طرف منه ، ولم نورده باجمعه مما وقفنا عليه ، ووصلنا بتوفيق الله وقدرته اليه ، وقد ادخرناه لهذا المكان من رسالة « جامعة الجامعة » لنورده بايضاح البيان وحقائق البرهان وان ما قدمناه من الرسائل هي مقدمات تشير اليه وتدل عليه ، فاذا وقفت ايها الاخ البار الرحيم على هذا العلم فصنه كل الصيانة ، واعمل فيه بموجب

(١) سورة المعارج آية (٤) .

حق (١) الامانة ، واياك ان تدفعه إلى من لا يستحقه وتضعه في غير موضعه وتبذله (٢) لمن لا يرغب فيه ولا يطلبه، فتكون خارج من جملة العلماء الذين لا يخشون الله حق خشيته ولا يلزمون طاعته ويعبدونه حق عبادته بوضع الاشياء اللائقة في مواضعها ، وتكونها فيها ونزولها عليها ، وما على الرسول الا البلاغ المبين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



(١) سقطت في نسخة ق .

(٢) في نسخة (م) وردت وتعطيه .

الفصل الخامس عشر

إعلم ايها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ان هذا العلم هو الغاية ، وبمعرفته يكون الوصول إلى النهاية ، وهو علم المبدأ والمعاد ، والروح والمنقلب ، والدنيا والآخرة ، والنشور والبلاء والحشر والنشر ، والثواب والعقاب ، والصراط والميزان ، والجنة والنار ، والملائكة المقربين ، والشياطين وجنود ابليس اللعين،والحق والباطل،والعالم والجاهل ، والمفضول والفاضل، والناقص والزائد ، والغائب والحاضر ، والربح والخسارة ، والصناعة والتجارة ، والبسط والقبض ، والرفع والخفض ، والظلمة والنور ، والظل والحرور ، والليل والنهار ، وعالم السموات العلى ، وسكان الأرضين السفلى ، وكتاب الأبرار الذي هو في أعلى عليين ، وكتاب الفجار الذي هو في سجين ، وجنة الفردوس الأعلى ، وشجرة طوبى ، وسدرة المنتهى ، وجنة الخلد ، والملك الذي لا يبلى ، ومعرفة الهاوية وجهنم الثاوية ، والجحيم وشرب ماء الحميم ، وأكل الزقوم والأجسام المحترقة ، والأرواح الفرقة ، والجلود المحددة ، والنفوس المعذبة ، والعفاريت المردة ، ومالك الغضبان ، وزبانية جهنم

النيران ، والعقاب المقيم ، ومعرفة الأيام الموصوفة ، ذات الأسماء المختلفة والأوصاف المؤتلفة في الحقائق المتباينة في موضعات الطريق ، مثل : الآزفة ، والحاقة ، والطامة ، والواقعة والقارعة ، والصاخة ، والساعة ، والقيامة ، ويوم البعث والنشور ، وبعثرة ما في القبور ، وتحصيل ما في الصدور ، ويوم الثناء ، ووقت المعاد ، ويوم الجزاء ، وبروز الرب لفصل القضاء ، وليلة القدر ، واقتراب الساعة ، وتبديل الأرض ليوم العرض ، وطي السماء ، والحشر والنشر ، وتساقط الكواكب ، وتواتر المصائب ، وغيبة للشمس ، وحيرة النفوس ، ومرور الجبال كمر السحاب ، وطي السماء كطي الكتب ، ونفخ الصور البالية ، وقيام الأجساد الثاوية ، وجمع الشتات ، وقيام الأموات وحياة العظام الرفاة ، والانتباه من طول الرقاد يوم المعاد ، وحضور الشهداء والنبيين والمبلغين لرسالات ربهم ، والمنذرين يوم تأتي السماء بدخان مبين ، وبروز الجحيم للغاوين ، وقيام روح والملائكة صفاً لا يتكلمون ، ويوم الحق ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، ويوم الفصل ، ويوم كألف سنة مما تعدون ، ويوم كان مقداره خمسين الف سنة : ويوم يقول :

« كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ (١) عَدَدَ سِنِينَ ؟ قَالُوا : لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ »

---

(١) سورة المؤمنون آية (١١٣) .

ويوم البعث ، والميتة (١) الاولى ، والميتة الثانية ، والحياة الأولى ، والحياة الثانية ، لقوله تعالى :

«رَبَّنَا أَمَتَّنَا أَثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا (٢) اثْنَتَيْنِ » .

واعترافهم بذنوبهم وشهادة الشهداء عليهم :

«وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ » (٣) «وَيَوْمَ يَعُضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، «يا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لم أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وكَانَ الشَّيْطَانُ للإِنْسَانِ خَذُولاً »(٤) ويوم تقول كل نفس «يَا حَسْرَتَي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ » أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » (٥) ويوم يقول الكافر يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً» (٦) ويوم «تُوفَّي كُلُّ نَفْسٍ مَا»

(١) في نسخة (ق) وردت (الموتة) .
(٢) سورة المؤمن آية (١١) .
(٣) سورة (ق) آية (٢١) .
(٤) سورة الفرقان آية (٢٧ و ٢٨ و ٢٩) .
(٥) سورة الزمر آية (٥٦ و ٥٧ و ٥٨) .
(٦) سورة النبأ آية (٤١) .

كَسَبَتْ »(١).ويوم« هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ » (٢) وحضور الملائكة الكرام . «وَيَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا » (٣) ويوم يقال للنفس الزكيَّة والنفس المطمئنة« إِرْجِعِي إِلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً »(٤) ويوم يقول الله للمسيح بن مريم : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ . قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ » (٥) ويوم: « جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ » (٦) . ويوم ندعو كل أناسٍ بإمامهم . ويوم يقام الوزن . ويوم تعرض الأعمال ، وتختبر الأفعال ، وتنشر الكتب ويقال للمرء : « اقْرَأْ

---

(١) سورة البقرة آية (٢٨١) .
(٢) سورة البقرة آية (٢١٠) .
(٣) سورة النحل آية (١١١) .
(٤) سورة الفجر آية (٢٨) .
(٥) سورة المائدة آية (١١٩) .
(٦) سورة النساء آية (٤٠) .

كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً» (١) «وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوحُوشُ حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وَإِذَا الْمَوْؤدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ،وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ »(٢)و«يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ»(٣) في اليوم المعلوم والأجل المحتوم ، وفك الكتاب المختوم ، ويوم يساق الذين كفروا إلى جهنم زمراً ، ويوم يرحلون فيه إلى الله ، ويوم يعرضون على النار ، ويوم يبعثون ، ويوم يفتنون ، ويوم يتساءلون ، ويوم يوقنون ، ويوم يوقفون ، ويوم ينقلبون ، ويوم يقول الله لهم : «أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ» (٤) ويوم

---

(١) سورة الاسراء آية (١٤) .

(٢) سورة كورت آية (١ — ١٣) .

(٣) سورة الحاقة آية (١٨) .

(٤) سورة المؤمنون آية (١٠٦) .

«شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ» (١) ويوم يدعون بالويل والثبور ، «وَيُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ»(٢) ،ويوم يضرب «بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» (٣) ، ويوم يقول «قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ» (٤) ، ويوم يقول : «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (٥) ، ويوم يقال لِجَهَنَّمَ « هَلْ إِمْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» (٦) ، ويوم يكون وقودها الناس والحجارة وهي مثوى الكافرين والمتكبرين ، ويوم «لا

---

(١) سورة الاعراف آية (٣٦) .

(٢) سورة الحديد آية (١٤) .

(٣) سورة الحديد آية (١٣) .

(٤) سورة ق آية (٢٧) .

(٥) سورة ق آية (٢٢) .

(٦) سورة ق آية (٣٠) .

يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً » (١) «ويومَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه ، وَأُمِّه وَأَبِيه ، وَصَاحِبَتِه وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » (٢) ويوم يقول الشيطان لحزبه واتباعه «إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ (٣) تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ» (٤) ويوم يؤْتى بالذين ظلموا فرادى ومعهم شافعيهم ولا يشفع لهم فيقال: «لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (٥) . «ويَوْمَ تجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً» (٦) . ويوم «تَرَى الْمُجْرِمِين

---

(١) سورة لقمان آية (٣٣) .
(٢) سورة عيسى آية (٣٤ – ٣٧) .
(٣) سورة ابراهيم آية (٢٢) .
(٤) سورة ابراهيم آية (٢٢) .
(٥) سورة الأنعام آية (٩٤) .
(٦) سورة آل عمران آية (٣٠) .

يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ، سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارَ »(1).ويوم«لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَهُمْ لاَ يُسْتَعْتَبونَ » (٢) ، ويوم « يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ» لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في ايمانها خيرا (٣) ، ويوم « الأَخلاءِ يومئذ بعضهم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ»(٤).ويوم « فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ » (٥) . ويوم « نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (٦) ويوم يشهد «عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» ، وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ » (٧) . ويوم

---

(١) سورة إبراهيم آية (٤٩ و ٥٠) .
(٢) سورة الروم آية (٥٧) .
(٣) سورة الأنعام آية (١٥٨) .
(٤) سورة الزطرف آية (٦٧) .
(٥) سورة المؤمنون آية (١٠٢) .
(٦) سورة يس آية (٦٥) .
(٧) سورة فصلت آية (٢٠) .

يقول الذين آمنوا : « أَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ، وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ ،وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالمِينَ»(١) وتحية الذين اتقوا ربهم يوم يلقونه «سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٢) .

فكل هذه الاشارات والصفات انما اطلقنا القول بذكرها كما هو موصوف في كتب الانبياء صلوات الله عليهم ليعلم من كان له عقل ان هذا الامر عظيم وخطب جسيم ففي الوقوف عليه – والوصول اليه تكون الاحاطة باجل العلوم والوصول إلى الجنة بالقوة ، فاذا فارقت النفس الجسد ارتفعت اليها وحصلت عليها بجوار الرحمن ، ومرافقة الحور الحسان ، مع الملائكة المقربين والانبياء المرسلين ، وعباد الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

---

(١) سورة الزمر آية (٧٤ و ٧٥) .
(٢) سورة يس آية (١٠) .

الفصل السادس عشر

إعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ان الذين انكروا أمر البعث والقيامة ، والحشر والنشر والمحاسبة وما تقدم ذكره ، فانما انكروها وكذبوها لشك في نفوسهم ، وحيرة في قلوبهم ، وطلبهم حقيقة معرفتها وكيفيتها وأينيتها (١) وماهيتها وكميتها قبل معرفتهم انفسهم ، وحقيقة جوهرها ، وكيفية كونها مع الجسد ؟ ولم ربطت فيه ؟ ولم تفارقه ؟ ومن أين كان مبدأها ؟ وإلى أين يكون معادها بعد مفارقتها جسدها ؟ وهذه المباحث علم غامض وسر عميق لا طريق اليها للمهتدين بالعلوم والايمان(٢) إلا بالتصديق لقول المخبرين الصادقين عن الله عز وجل الذين يأخذون هذا العلم تسليماً وايماناً وتصديقاً ، ويزيدونه براهيناً عقلية ، وحججاً فلسفية ، فيحتاجون ان تكون لهم نفوس زكية ، وأرواح فاضلة ، وقلوب صاغية ، وآذان واعية ، واخلاق طاهرة ، وان يكونوا قد ارتاضوا بالعلوم الموجبة لهم للوقوف

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سقطت في نسخة (ق) ايضاً .

على صحة هذا الأمر ، وحقيقة هذا السر ، ولذلك بسطنا ما بسطناه وقدمنا ما ألقيناه (١) من الرسائل المتضمنة ما يجب على الناظرين فيها والمطلعين عليها من العلوم الرياضية ،والتعليمية والجسمانية الطبيعية ، والعقلية النفسانية لينتبهوا بذلك من نوم الغفلة إذا وقفوا عليهاووصلوا بجميل السعي اليهاعلى حقائق الكتب النبوية والتنزيلات السماوية ، وقد تركنا القول بالتصريح الواضح في هذه الرسالة المسماة « جامعة الجامعة » وهو وان كان ظاهر البرهان لائح البيان فلا يصل اليه ولا يتمكن من الاطلاع عليه غير أهله ومن وفقه الله لعلمه ، ومن كان من غير أهله فانه لا يعلمه ولا يقف عليه ولا يهتدي اليه ، فعند ذلك يعلن الطعن على صاحبه ويكفر واضعه وينسب اليه الكفر والالحاد ويرميه بالبهتان والعناد . وهذا من الذين يلعنهم الله ويخزيهم ويجعلهم لا يؤمنون بالآخرة ولهم الويل وسوء العذاب (٢) ، الذين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ، وهم اوراق (٣) الشجرة الخبيثة الملعونة المجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار ، وهم حطب جهنم هم لها واردون .

(١) في نسخة (م) وردت (ما قدمناه) .

(٢) في نسخة (م) وردت (المنقلب) .

(٣) في نسخة (ق) وردت (ورقة) .

الفصل السابع عشر

إعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه، اننا تكلمنا عن حقائق ما وصفناه ، وبيان ما شرحناه ، وتفصيل ما اجملناه بالبيان الشافي ، والقول (١) الكافي ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، والآن نقول : ان لفظة البعث تدل على معنيين احدهما معنى ايراد وآخر معنى بعث اصدار وهما بمعنى المبدأ والمعاد ، فأما المبدأ فهو انبعاث النفس من العقل ، ثم انبعاث الأشياء كلها بعضها من بعض ، لأن بدئها من العقل وكلها من الله عز وجل . وبعث الابتداء هو البعث من حد القوة إلى حد الفعل وهو ايراد الأشياء من العدم إلى الوجود بالصورة التي كونها بالهيولى . واما البعث الذي هو بمعنى الاصدار فهو مفارقة النفس للجسد بعد اتحادها به وكونها معه مقارنة لما عملت حاملة لما كسبت أما إلى عذاب مقيم ، أو إلى سرور ونعيم ، فهذه معرفة البعث بالوجيز من القول الدال على المبدأ والمعاد . وفي هذا المعنى قال الله عز وجل :

«فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ (٢) مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ» .

وبعد الأنبياء بعث من يقوم مقامهم في تبليغ رسالاتهم لتعم البركة وتشمل النعمة . وبعد هذا فان البعث الكائن في الدنيا جزئي . أما البعث المؤدي إلى الآخرة فهو كلي .

---

(١) سقطت في نسخة س .

(٢) سورة البقرة آية (٢١٣) .

الفصل الثامن عشر

إعلم ايها الأخ ايدك الله بروح منه ان معنى تسمية (١) يوم البعث بالحاقة فانما هو اشارة إلى تحقيق (٢) العلم الذي اخبرت به الانبياء ، ودلت عليه الحكماء ، وصدق به العلماء المؤمنون ، وكذب به الجهال الكافرون . واما قوله الواقعة فانما عنى بذلك ان في ذلك اليوم يقع القول عليهم بالتكذيب لهم وإفساد ما كانوا يعتقدونه من الآراء السخيفة والمذاهب المختلفةعن الحق الحائدين بذخارفهم عن طريق اهل الصدق . واما قوله الآزفة فقد عنى بذلك يوم لحوق كل نفس بما عملت ، واحاطت للسيئآت بما كسبت ، والازوف بلغة العرب هو الرواحوالزوال من مكان إلى مكان ، كما قيل ازفت الشمس للغروب وازف الوقت كذلك الازفة رفع كل شيء ، ووضع غيره في محله ، والرواح بـــه يكون في ذلك اليوم بازالة المذاهب السخيفة ، والاعتقادات الرديئة ، والهيئات الضالة المضلة ، ونقل اهلها إلى الهوان والعذاب والذل المقيم . ولذلك قال :

«إقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ» (٣) .

---

(١) سقطت في نسخة ق .

(٢) سقطت في نسخة ق

(٣) سورة القمر آية (١) .

واقتراب الساعة هو المسارعة لمجازات الانفس ، وانشقاق القمر هو زوال امور الدنيا إذا كان القمر هو المتولي تدبير عالم الكون والفساد وبانشقاقه تبطل (١) هذه الحركة . واما قوله يوم الثناء فان في ذلك كما قال الله تعالى : يكون النداء . «أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» (٢) ومنادات اصحاب الاعراف الذين امنوا يومئذ بعضهم لبعض بالبشرى والفرح والسرور ومنادات الذين كفروا بعضهم لبعض يومئذ بالويل والثبور، وقولهم: «قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا» (٣) ، وابتداءهم بالشهادة على انفسهم انهم كانوا كاذبين وظالمين.واما قوله يوم النشور فهو يوم نشر الاعمال وظهورها ليراها الفريقان ، ويقف عليها اهل الجمع وذلك ان المؤمنين يعرفون اعمال الذين كفروا وتعرض عليهم ويقال للذين كفروا اليس هذا بالحق ؟ قالوا : بلى.فقال لهم : اليست هذه اعمالكم فتعرفونها وتحيط بهم سيئآت ما عملوا وتعرض اعمال المؤمنين الزكية والمرضية على الكافرين ؟ فيقال لهم : الم تكونوا تدعون إلى العمل بمثل هذه الأعمال وكنتم تستكبرون فيقولوا : نعم «قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ»(٤) وكذبنا وقلنا «ما أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ(٥)»

(١) في نسخة (س) وردت تزول .

(٢) سورة الحديد آية (١٤) .

(٣) سورة الأنبياء آية (٩٧) .

(٤) سورة الأعراف آية (٥٢) .

(٥) سورة يس آية (١٥) .

الفصل التاسع عشر

إعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ان العرض هو عرض اعمال العباد في ذلك اليوم بعضهم على بعض ليعرف كل منهم بسيماهم ، والشهداء هم رؤساء المؤمنين أو هم الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين .

وأما من توهم ان اعمال العباد تعرض على الله عز وجل في ذلك اليوم حتى يعرفها وينهي ويأمر فهذا محال ، اذ كيف يعرض عليه ما هو محيط به وغير مخفي عنه ، وانما يكون العرض على ما يحتاج ان يعرف بالعرض ما يعرض (١) عليه ، وهذه صفة لا يليق ان يوصف بها الله سبحانه وتعالى ، إذ أن العرض في ذلك اليوم عرض اعمال (٢) الخلق عليهم ، وأعمال أهل الطاعة عليهم ، وأعمال أهل المعصية ، حتى يقوم بذلك العدل عليهم منهم والوزن بالقسط ، فيحيط يومئذ بكل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ، ويعرفون اعمالهم ولا يغيب عنهم شيئاً منها ، ولا ينكرونها ، فتكون اعمال الذين آمنوا حياة لهم وغرفاً وقصوراً ذوات روائح طيبة من كل حسن وروح وريحان وما لا عين رأت ولا اذن سمعت ، كذلك يريهم الله

(١) سقطت في نسخت (م) .

(٢) في نسخة (م) وردت (الأفعال) .

اعمالهم حسرات عليهم (١) .

وأما معنى بعثرة ما في القبور في ذلك اليوم فهو ظهور ما كان كامناً في قبره مغطى بستره ، فعند ذلك يبدو كل مستور . وأما تحصيل ما في الصدور فهو خروج ما كانت تخفيه صدور المؤمنين وتحتوي عليه قلوبهم من المعارف الحقيقية التي لا يقدرون على اظهارها ، واقامة الحجج بها لما كانوا يخفونه على أنفسهم من مهانة (٢) الكافرين لهم وقدرتهم عليهم في دار الدنيا ، فعند ذلك يحصل ما في صدورهم وما في نفوسهم الزكية من أنوار وايمان ، وكذلك يحصل ما كان في صدور الذين كفروا من التخيلات الفاسدة (٣) ، والأوهام الردية ، والاعتقادات المضلة ، التي اطمأنت بها نفوسهم وسكنت اليها أرواحهم ، فتصير ظلمة على ظلمتهم ، وأوزاراً على ظهورهم وعلى ظهور الذين يضلونهم بغير علم ، ولذلك قال الله سبحانه :

«الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» (٤) وقال «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ، تَصْلَى

---

(١) سورة البقرة آية (١٦٧) .

(٢) في نسخة (ق) وردت (اهانة) .

(٣) في نسخة (س) وردت (العديمة) .

(٤) سورة الكهف آية (١٠٥) .

ناراً حَامِيَةً » (١) .

وأما ليلة القدر فهو ما يقدر في ذلك اليوم من أمر الآخرة التي هي أول دور الكشف وآخر دور الستر ووضع الأشياء في مواضعها .

وأما انشقاق ظواهر الأمور (٢) لحقائق ما كان مخفياً فيها ، وما ينزل به ملائكتها وفيها يفرق كل امر حكيم ، كما قال الله عز وجل «وفي السماء رزقكم وما توعدون» (٣) . ففي القيامة الكبرى تنشق الأفلاك ، وفي يوم القيامة الوسطى تفيض الأرزاق على أهلها دفعة واحدة بعد ان كانت تنزل بها الملائكة من أبوابها بقدر معلوم ورزق مقسوم . وفي يوم القيامة الكبرى يكون العطاء الكلي ، وفيض الخيرات والنعم على أهلها والبلايا والعقوبات على مستحقيها دفعة واحدة .

وأما طي السماء في ذلك اليوم كطي السجل للكتب ، فهو ما يكون في ذلك اليوم من طي الأوامر والنواهي التي كانت قائمة في الدنيا ، لأن القيامة لا يكون فيها أمر أو نهي ، وانما هو يوم الجزاء والعطاء بما كان من الأوامر والنواهي ، وكذلك

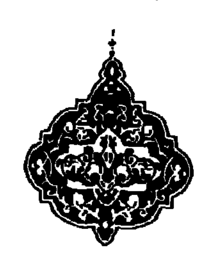
---

(١) سورة الغاشية آية (٣ و ٤) .

(٢) في نسخة (س) وردت (الأشياء) .

(٣) سورة الذاريات آية (٢٢) .

يقال للكتاب إذا قرىء وفرغ قارؤوه من قراءته وفهم ما فيه ، فعندئذ يطوى كما يطوى الأمر اي تزول أحكامه ولا يحتاج اليه . وأما كما بدأنا أول خلق نعيده فهي عودة النشأة الاولى . وأما قوله ويوم الحشر فان العالم في ذلك اليوم يحشرون والحشر هو حشر النفوس الجزئية إلى النفس الكلية ، وأما غيبة الشمس فان ذلك يكون مقدمة الساعة والفترة والظهور ، وأن من شروطها وعلاماتها (١) غياب الشمس من مشرقها وطلوعها من مغربها ، وهذا يكون متقدماً للساعة . وأما مرور الجبال كمر السحاب ، فهو مرور الرؤساء بالعلم والحكمة كالسحاب المار بالغيث والذي به حياة الأرض ، وذلك من صنع الله عز وجل .



(١) سقطت في نسخة (ق) .

الفصل العشرون

إعلم ايها الاخ ايدك اللهوايانا بروح منه ، ان المقصود من تأويل تفجير البحار هو ظهور علوم الرؤساء السبعة (١) وما كان مستوراً من شرائعهم ونواميسهم ، ولذلك قيل ان البحارسبعة ، وان البحر السابع هو المحيط ، وهو مثل الخاتم للرؤساء ، وان علم الستة ينصب إلى السابع ، واما النفخ في الصور فهو انبعاث الروح الظاهرة في الاشخاص المستعملة في الازمان الخالية لتحضر وقت القيامة ، وتشاهد الأفعال الحقيقية وظهورها إلى الفعل بعد ان كانت تشاهد بالقوة والنفحة الاولى قيام السادس بالبشارة والاعذار والانذار ، والنفحة الثانية يكون بها من في العالم قياماً ينظرون ظهور السابع ، والسادس الاول بالقوةوالسابع الثاني بالفعل ، وبهذه النفحة ايضاً يكون قيام الصور البالية والاجساد الثاوية في عالم الجهالة ومذهب (٢) الضلالة لتجازى بما كسبت . واما حياة الاموات وجمع الشتات فهي حياة من

---

(١) الرؤساء السبعة هم : النطقاء أصحاب الشرائع الذين جاءوا برسالات سماوية وهم : آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، والقائم المنتظر .

(٢) سقطت في نسخة س .

كان قد مات من المؤمنين وعباد الله الصالحين لغلبة الشياطين وقهر الظالمين وجمع شتاتهم بعد التفريق بالقتل والتحريق والرمي بالكفر والافك والفسق (١) وقولهم عنهم ما حكاه الله عز وجل:

«أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذينَ أُوتُوا نَصيباً (٢) منَ الْكتَابِ يُؤْمنُونَ بالْجِبْتِ وَالطَّاغُوت وَيَقُولُونَ للَّذينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى منَ الَّذينَ آمَنُوا سَبيلاً» ، وقوله «فَفَريقاً كَذَّبْتُمْ وَفَريقاً تَقْتُلُونَ» (٣) .

فالفريق المكذَّب هم الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ، والمقتولون هم اتباعهم واصحابهم ، واما حضور الشهداء في ذلك الوقت فهو جمع الرؤساء لقيام الحجة على الذين كفروا واذا رأواهم باشخاصهم التي يعرفونها واستكبروا عليها ووصلوا بالاذية اليها فعند ذلك يباس المجرمون أي يتحيرون وينقطعون عن اقامة الحجة لانفسهم عما ينجيهم من سوء ما أحاط بهم ، وأما قوله جل اسمه:

«يَوْمَ تَأْتي السَّمَاءُ بدُخَانٍ مُبينٍ ، يَغْشَي النَّاس هٰذَا

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سورة النساء آية (٥٠) .

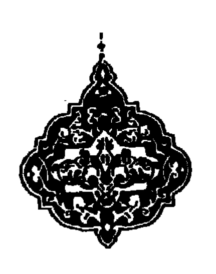
(٣) سورة البقرة آية (٨٧) .

عَذَابٌ أَلِيمٌ » (١) .

فهو ما يكون قبل القيامة الوسطى من الفتنة التي تغشى الناس ، والضلال الذي يقع بهم وعليهم إذا ما اظلمت سماء الحكمة ، وتناثرت كواكبها ، وغابت شمسها ، واظلم قمرها ، فهذا هو العذاب الأليم ، أو :

«يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ،وَتَضَعُ كل ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ» (٢) .

ويومئذ يتبرأ الذين اتبعوا الصواب ، من الذين رأوا العذاب ، وتقطعت بهم الاسباب ، ويوم الجمع هو اجتماع الفريقين ، فلا يغادر فريق منهم الآخر ، فريق الحق ، وفريق الباطل.



(١) سورة الدخان آية (١٠) .

(٢) سورة الحج آية (٢) .

الفصل الواحد والعشرون

إعلم ايها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، ان حكاية القيامة الكبرى هي كما اشير اليه في القيامة الوسطى ، وهي ممثول يوم القيامة الكبرى ، فاحذر يا أخي من الزيغ والميل (١) ، ويوم التغابن هو يوم الحشر للذين كفروا ، وما كانوا يعملون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، والغبن هو الخسارة والأخذ من غير تفويض ، فويل للذين كفروا من النار ، وانهم مجزون بأعمالهم حتى يكون يوم القيامة فيخسرونها ولا ينفعهم منها قليل ولا كثير ، وتغبن سيئاتهم حسناتهم فلا تفي بها ، وتغبن حسنات الذين آمنوا سيئاتهم ولا تضرهم ولا يؤخذون بها ، إذا كان رأس حسنات الذين آمنوا معرفة الله سبحانه وتعالى ، ومعرفة اولياءهم ، وطاعتهم ، ولا معصية تضرهم إذا ادوا ما يجب عليهم ، وما يكاد يزل بهم القدمان (٢) جميعاً إذا زلت باحدهم قدم ، اعتمد على الأخرى ، ورأس معاصي الذين كفروا الشرك بالله ، وجحد منازل اولياءه (٣) ، والتكبر

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سقطت في نسخة (س) .

(٣) في نسخة (م) وردت (الأولياء) .

عليهم ، والخروج عن طاعتهم ، ولا حسنة تنفعهم بعد ذلك، من صلاة أو صيام ، ولا عمل كما قال الله عز وجل :

«وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ(١) هَبَاءً مَنْثُوراً»

فهذه معرفة حقيقة يوم التغابن وقوله :

«وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ » (٢) .

فالجحيم هي الدار الواصل فيها البلاء إلى مستحقه ، و مكان الهوان المقيم ، والعذاب الأليم :

«يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً» (٣) .

معنى هذا قيام رؤساء المؤمنين ذوي الأرواح الطاهرة ، والنفوس الزكية ، والملائكة إلى منازلهم التي ملكوها فهم لا ينطقون بشيء منها يومئذ الا من أذن له الرحمن في :

«ذَلِكَ الْيَومُ الْحَقُّ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى (٤) رَبِّه مَآباً»

واما قوله : «يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ»

فهو مدة قيام السادس ولذلك قال : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة

---

(١) سورة الفرقان آية (٢٣) .

(٢) سورة النبأ آية (٣٨) .

(٣) سورة المعارج آية (٤) .

(٤) سورة الشعراء آية (٩١) .

بعثت في آخرها الفاً . وأما قوله :

«في يَوْمٍ كَانَ مقْدَارُهُ أَلْف سَنَةٍ» فهو الدور الآخر ، (١)

وأما قوله «كَمْ لَبِثْتُمْ في الأَرْض عَدَدَ سنينَ» (٢)

«قالُوا : لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَل الْعَادِّينَ »(٣)

انما يقال لهم : كم كان مقدار ما متعتّم به من حياتكم ،ولبوثكم في الأرض إلى وقت الستر ، وإلى هذا الوقت ؟ قالوا:لبثنا يوماً أو بعض يوم ، فأسأل العادين يعني الرؤساء أصحاب العدد

«وَقَالَ الَّذينَ أُوتُوا الْعلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ في كتَاب اللهإلىيَوْم الْبَعْثفَهَذَايَوْمُالْبَعْثوَلَكنكُمْ كُنْتُمْلاتعلمون»(٤). ما يلحقهم من الغفلة ، وعظم المصيبة إذا عاينوا ما كانوا يوعدون .

وأما الميتة الاولى فهي ميتة الجسد ومفارقة النفس إياه ، وأما الميتة الثانية فهو يأسها من الثواب على ما كانت تظن انها تثاب

---

(١) سورة المؤمنون آية (١٣ و ١٤) .

(٢) سورة النبأ آية (٣٩) .

(٣) سورة السجدة آية (٥) .

(٤) سورة الروم آية (٥٦) .

به في الدار الآخرة ، فعند ذلك يحجب عملها وسعيها (١) ويكذب ظنها ، فتموت موت الحسرة والندامة ، واما الحياة الاولى فهي حياة النفس بالبعث الأول إلى دار الدنيا ، وحياتها الثانية البعث الثاني يوم القيامة ، واعتراف الكافرين بذنوبهم وأعمالهم (٢) اذ رأوها وعرضت عليهم وقوله :

«وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ (٣) وَشَهِيدٌ» .

فالسائق عملها ، والشهيد رئيس زمانها ، الذي أمرت بطاعته فهو الشاهد عليها ولها ، وهو رقيبها المعرّف لها بما كسبت من خير وشر ، والشهداء هم اصحاب الأعراف ، وقوله :

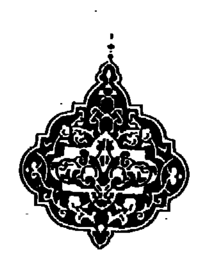
«وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتَي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً»(٤)فهو كل من جلس غير مجلسه ، وأخذ غير حقه ، ولم يتخذ مع الرسول سبيلا فيما امره به ، وخالف وصيته من بعده، وان فلاناً هو الذي سوّل له سوء عمله ، وحسن له قبيح ما اشار به عليه ، كل ذلك ليرث مقامه ، وتكون له اسوة به ، حتى

---

(١) سقطت في نسخة (س) .
(٢) سقطت في نسخة (س) ايضاً .
(٣) سورة ق آية (٢١) .
(٤) سورة الفرقان آية (٢٧ و ٢٨) .

تتم دعوة ابليس ، وتكون منزلته محفوظة الى يوم البعث والوقت المعلوم ، واما قول النفس « يَا حَسْرَتَي عَلى مَا فَرَّطْتُ في جَنْب (١) الله » . فهي النفس الظالمة (٢) الكافرة باوامر الله .

واما قول الكافرين : « يَا لَيْتَني (٣) كُنْتُ تُرَاباً » . فمعناه يا ليتني كنت عدماً لا وجود لي في هذا اليوم حتى لا اجازى بما عملت عندما ترى نفسي الَّذينَ « تَقَطَّعَتْ بهمْ الأَسْبَابَ » (٤) .



(١) سورة الزمر آية (٥٦) .
(٢) سقطت في نسخة ق .
(٣) سورة النبأ آية (٤١) .
(٤) سورة البقرة آية (١٦٦) .

الفصل الثاني والعشرون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ان معنى قوله :
«يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً (١)
وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً»(٢)
فهومعروف ، واما قوله : «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ
عَنْ (٢) نَفْسِهَا» . فهذا يا أخي يختص به المؤمنين اذا
انقطعوا عن الكلام ، واقامة الحجة على الكافرين بين يدي الله
عز وجل كما قال الله تعالى : حكاية عن نوح عليه السلام اذ
قال له قومه : «يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا»(٣)
واما النفس المطمئنة الراجعة الى ربها يومئذ راضية مرضية فهي
النفس المنبعثة من عند باريها ، الى النفوس الجزئية لتهديها
وتنبهها من نوم لغفلة ورقدة الجهالة ، فيومئذ ترجع هي
ومن استجاب لها ، وقبل منها الى ربها راضيةمرضية ، وتدخل

---

(١) سورة آل عمران آية (٣٠) .
(٢) سورة النحل آية (١١١) .
(٣) سورة هود آية (٣٢) .

ومن معها من عباد الله الصالحين ، وأما قوله :

« هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ » (١)

فهو امر الله تعالى الذي قال فيه:« أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلوهُ » (٢)

واما الغمام فهو ان لا يراه الا الذين آمنوا، ويحجب عن رؤيته الكافرين ، كما يحجب الغمام الشمس عن ابصار المخلوقين ، كما قال جل جلاله :

« كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ » (٣)

والغمام هو الحجب الحائلة بين الذين كفروا والنظر الى ربهم يوم القيامة ، والملائكة هم سكان السموات ، وعالم الأفلاك ، واما قول الله عز وجل في ذلك اليوم للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام :

« أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ » . (٤) فانما هي اشارة من الله عز وجل الى تكذيب من غالى في المسيح وزعم انه إله ، وانه صاحب القيامة وانه يتولى حساب الخلائق ، وانه صاحب منزلة السابع ، وقالوا عنه :

---

(١) سورة البقرة (٢١٠) .

(٢) سورة النحل آية (١) .

(٣) سورة المطففين آية (١٥) .

(٤) سورة المائدة آية (١١٩) .

انه هو الذي امرهم بذلك لكي يتخذونه الهاً ، ويعرفونه رباً ، وانه راجع اليه بعدغيبته ، وقادم عليهم من بعد مضيه ونقلته، وانهحي لايموت ، وانه عائد الى العالم ليأخذ بثأره ، وبه تقوم القيامة ، فكذبهم الله عز وجل بهذا القول على لسان السادس من انبيائه ، وخاتم رسله ﷺ ، فأعلمهم ان المسيح لم يدع ذلك لنفسه ، ولا امرهم به ، وانه اذا سئل يوم القيامة عما قال فيه المشركون،وانتحله المبطلون ، فيقول ما حكاهسبحانه وتعالى :

«مَا يَكُونُ لي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لي بحقٍ إنْ كُنْتُ قُلْتُه فَقَدْ (١) عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا في نَفْسي وَلاَ أَعْلَمُ مَا في نَفْسكَ إنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب » ، يعني انك انت العالم بما ايدتني به ، وخصصتني بدرجته، فكله منك بدأ واليك يعود ، وكذلك قال :«فَنَفَخْنَا فيهَا منْ رُوحنَا » (٢) . انما ارادبقوله تعلم ما في نفسي يعني نفسه التي وهبتلهوأيد بها ما يكلم الناس، وينفس عنهم ، ما يغشاهم من الكذب ، ويحييهم بها من موت الخطيئة ، ولا اعلم ما في نفسك التي تؤيد بها السابع اذا اقمته وبعثته ، فاني لا اعلم ذلك ولا اطلع عليه الا بما

---

(١) سورة المائدة آية (١٩) .

(٢) سورة الأنبياء آية (٩١) .

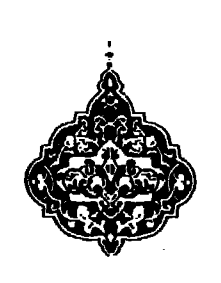
اطلعتني انت عليه ، وعرفتني به في حدي للبشارة به ، والانذار من وقته ، والاقرار بكونه ، واما ادعائي منزلته ، ووضع نفسي في موضعه ، فاني لا استحق ذلك وليس هو لي بحق ، ولا تؤاخذني بما كذبوا به علي ، وقالوا في ما لم اقله ، ثم عطف على الذين كذبوا عليه، ونسبوا هذاالقول اليه، فقال :

« إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ (١) عِبَادُكَ ، إلى قوله:«فَإِنَّكَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »(٢) ،« مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي(٣)بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ الآية » «قَالَ اللهُ : هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادقينَ صِدْقُهُمْ » . (٤) يعني ان المسيح عليه السلام من الصادقين عن الله سبحانه الذين ينفعهم صدقهم ، وانه لم يقل الا الحق، وانه لم يتعدى ما جعله الله له ، وأقامه فيه من مقامه ، واما قوله: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ» (٥). فهو الشاهد عليهم ، وقد قدمنا ذكره، والقول فيه ، وكذلك «يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ »(٦) فهو مؤدبهم ومعلمهم علوماً نفسانية

---

(١) سورة المائدة آية (١٢١) .
(٢) سورة المائدة آية (١٢٠) .
(٣) سورة المائدة آية (١٢٢) .
(٤) سورة النساء آية (٤٠) .
(٥) سورة الأسراء آية (٧١) .
(٦) سورة الرحمن آية (٩) .

وحكماً علية . واما قوله : « وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ (١) بِالْقِسْطِ ، فقد تقدم بيانه ، واما قوله : « إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً » (٢) ، فهو ان حجة كل امرء تقوم(٣) عليه من نفسه ، وكتابه هو ما اكتسبته نفسه بواسطة هيكله المنتهي بالحكمة ، المجموع له فيها من آثار الصنعة ما تدله على معرفة باريه وعبادته ، وان له في عالمه رؤساء تتم بهم الحياة فهم قوام امر الجسد .



(١) سورة الرحمن آية (١٢).

(٢) سورة الاسراء آية (١٤) .

(٣) في نسخة (م) وسدت (تعود) .

الفصل الثالث والعشرون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان معنى قوله : «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» (١) فهو ما يكون من حدوث الكرة والتكوين وهو بمعنى التدوير؛ والتسيير هو بمعنى التستر والتقية والغيبة ، وهذا معروف في لغة العرب، وفي الحقيقة ان شمس العالم تتستر في الفلك ، وتدور باسره، وتقطعه بالذهاب والمجيء فيه،والاحاطة به على صفة منتظمة فلا انكدار للنجوم بغيبتها ولا تعطيل للعشار التي كانت عامرة بظهورها ، ولا حشر للوحوش وبروزها في وقت تأمن فيه على نفوسها من الفساد في العالم المتأتي من الشياطين والابالسة وما يعملونه ويظهورنه في ذلك الوقت ، «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» معناه اذا انقبضت العلوم وحصدت وعمت ، «وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ»، اي قرن بكل نفس ما كسبت والزمت وعملت «وَإِذَا (٢) الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ

(١) سورة كورت آية (١) .
(٢) سورة كورت آية (٦) وما بعدها .

ذَنْبٍ قُتِلَتْ» اي اذا جاء صاحب السوآل ،«وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» وهي الحكمة لدنو قدوم صاحب النعمة والنقمة ، «وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ» اي اذا كشطت الظلمة عن سماء الأمة كما يكشط الكاتب ما لا يريده من كتابه(١) ، ويزيل عن البياض سواده ، ويمحو ما كان قديغشاه من حبر ومداد، «وَإِذَا الْجَحِيمُ (٢) سُعِّرَتْ» لاهلها وحصلت لهم وحصولها باعمالهم وقبيح افعالهم ، «وَإِذَا (٣) الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ» أي قربت من المؤمنين واستحقوها بصبرهم ، وفازوا بها باعمالهم ، فعند ذلك ، «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ» من خير وشر ، يومئذ يعرضون بعضهم على بعضهم كقوله تعالى:

«يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى (٥) مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» .

---

(١) في نسخة (م) وردت (الكتابة) .

(٢) سورة كورت (١٢) .

(٣) سورة الحاقة (١٧ و ١٨)

(٤) سورة الحديد آية (١٣) .

(٥) سورة (ق) آية (٢٧) .

وهم رؤساء الملائكة وحملة العرش الواسع ،وعند ذلك يضرب بين الذين آمنوا والذين كفروا « بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَـــةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِه الْعَــذَابُ » ، ويومئذ يقول الشيطان : « رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ في ضَلاَلٍ بَعيدٍ » .(١) والشيطان في هذا الموضع مخصوص به شخص من اشخاص العالم الانساني والخلق البشري ، والآخر صاحبه وقرينه ، فيومئذ يلقي كل واحد منهما هذا الاسم على صاحبه وينسب كل واحد منهما الظلم والطغيان الى قرينه ، فيقال لهم :

« لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ (٢) وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعيد »

وهذا قول من عهد اليهم بوصيته وامره ونهيه ، فخالفاه وارتكبا ما كانا نهيا عنه ، قال جل اسمه : « وإِنْ تَظَاهرا علَيْه فَإِنَّ اللهَ هو موْلاَهُ وجِبْرِيلُ وصالحُ الْمُؤْمنِين والْملاَئِكَةُ بعْد ذَلكَ ظَهِيرٌ »(٣) فافهم ياخي هذا المعنى ، « ويوْم نَقُولُ لِجهنَّمَ هلْ امْتَلأْتِ (٤) وتَقُولُ هلْ منْ مزِيدٍ » .

---

(١) سورة (ق) آية (٢٨) .

(٢) سورة (ق) (٢٨) .

(٣) سورة التحريم آية (٤٠) .

(٤) سورة (ق) آية (٣٠) .

وفي عالم الكون والفساد ، وما كان من ظواهر الأجساد ، التي لا ارواح فيها ظاهرة، ولا انوار فيها زاهرة مثلها كمثل قشور الثمار التي اذا أكلت ورمي بها يأكلها من لاعقل لهمثل الدواب والمجانين من الناس، ويومئذ اذا انقضى الامر، وقال الشيطان لاتباعه وحزبه : « إِنَّ اللهَ وعدكُمْ وعْد الْحقِّ ووعدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ (١) وما كَانَ علَيْكُمْ منْ سُلْطَان إِلاَّ أَنْ دعوْتُكُمْ فَاسْتَجبْتُمْ لي فَلاَ تَلُومُوني ولُومُوا أَنْفُسكُمْ » . وهذا ما لا يخفى علي وعلى من انصف نفسه ، واختبر هذا الامر بصحة عقله وان سفهاء الامة يتبعون اصحاب الدنيا ، وينقطعون عن أهل الدين ويتبعون ابليس اللعين ، وقد علموا ان امور الدنيا فانية منقضية (٢) ، وان الشيطان يحسن لهم امورها ، ويحضهم على جمعها وطلبها، ويزهدهمفي الآخرة ونعيمها ، والا فان وعد الله هو الحق ، فاذا خرجوا من الدنيا ورأوا ما كانوا يوعدون ، وضل عنهم ما كان الشيطان يعدهم به ، وانقطعوا عن الرحمة ، وبعدوا منها ، فصاروا شياطين في الآخرة بالفعلويوم القيامةهم في العذاب مشتركون .

---

(١) سورة ابراهيم آية (٢٢) .

(٢) سقطت في نسخة (ق) .

الفصل الرابع والعشرون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ان معنى قوله :
«يوْم يفرُّ الْمرْءُ منْ أَخيه وأُمِّه وأَبِيه وصاحِبته (١)
وبنيه» هو اشتغال كل نفس بما عملت اذا احاطت بها سيئات
ما كسبت واما قوله : «لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى» (٢) أي لقد
جئتم بأرواح بلا أجسام وما نرى معكم من شفعاء، اي ليس
معكم أعمال صالحة «وتَركْتُمْ ما خوَّلْنَاكُمْ (٣) وراءَ ظُهُورِكُمْ»
يعني جل اسمه ماخولهم من الجسم الذي كتب لهم فيه آثار الحكمة المتقن
بصنع الله ومن احسن الله ما صنعا ، وهي السفينة التي آوت
اليها النفوس لما طغى بحر الخطيئة ، ولما حل طوفان العذاب،
وعندما جحدت وتكبرت (٤) ونسيت ما كانت به أمرت ،
فمن تنبه وتيقظ وعرف المحل الذي هو فيه ، واغتنم الفرصة
وعمل الاعمال التي تكون بها عودته الى باريه سبحانه وتعالى،

---

(١) سورة عبسى آية (٣٤) .
(٢) سورة الأنعام آية (٩٤) .
(٣) سورة الأنعام آية (٩٤) .
(٤) سقطت في نسخة (ق) .

مطهراً من ذنوبه بماء التوبة ، عاد وهو مستريح الى روح وريحان ورب غير غضبان ، ومن عاد وقد زادت معاصيه على ما كانت ، واكتسبت اوزاراً فوق أوزارها فهو صائر الى العذاب الأليم والهوان المقيم مع الشياطين والكافرين الذين هم «مقربين في الأَصْفَاد ، سرابِيلُهُمْ منْ قَطِرانٍ (١) وتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ» «فَيوْمئِذٍ لاَ ينْفَعُ الَّذينَ ظَلَمُوا معْذرَتُهُمْ ولاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» وإذا كان وقت قيام القائم السابع بالأمر الجديد ، «لا ينْفَعُ نَفْسٌ إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمنَتْ منْ قَبْلُ أَوْ كَسبتْ (٢) في إيمانِها خيْراً»
والخير هو المعرفة به قبل قيامه .

واما قوله : «الأَخِلاَّءُ يوْمئذ بعْضُهُمْ (٣) لِبعْضٍ عدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقينَ» فهم اصحاب الخلة والمحبة في الدنيا وفي غير الله عز وجل ، المجتمعين على معاصيه ، فاذا كان يوم القيامة صارت تلك الصداقة عداوة ، وتلك الخلة قطيعة « وأَقْبل

---

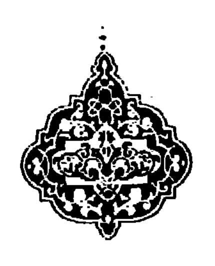
(١) سورة إبراهيم آية (٤٩ و ٥٠) .
(٢) سورة الأنعام آية (١٥٨) .
(٣) سورة الروم آية (٥٧) .

بعْضُهُمْ على بعْضٍ يتَلاَومُونَ» .(١) إلا المتقين الذين محبتهم صادقة في الله عز وجل فهم يومئذ اخوان على سرر متقابلين. واماقوله : «شَهِد علَيْهِمْسمْعُهُمْ وأَبْصارُهُمْ»(٢) . فهم رؤسائهم كما .قدمنا القول في شرح ما ذكرناه : ان العالم كله انسان واحد اذا شمله دينوشريعة واحدة ، فرؤساء الضلال مثل الذين اضلوهم ،وأبصارهموأفئدتهم امثال اعضاء رؤساءاجسامهم الطاهرة ، ولذلك قيل:ان في الاجسام اجسام طاهرة بالطاعة ونجسة بالمعصية .

واما قولهم «لِم شَهِدْتُمْ علَيْنَا ؟ قَالُوا (٣) أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» . اي شهدنا عليكم وعلى انفسنا بالحق ، لان الاشياء قد بانت لنا في هذا اليوم ناطقة بتوحيد الله عز وجل وكنا عن هذا غافلين ، وبهذا الحق مكذبين ، فيومئذ يورث الأرض للذين آمنوا يتبوأون من الجنة حيث يشاؤون فنعم أجر العاملين ،«وتَرى الْملائِكَةَ حافِّينَ منْ حوْلِ الْعرْش يُسبِّحُونَ بِحمْد ربِّهِمْ(٤) وَقَضِي بيْنَهُمْ بِالْحقِّ وقِيل الْحمْدُ لله ربِّ الْعالَمين» (٥) .

(١) سورة القلم آية (٣٠)
(٢) سورة فصلت آية (٢٠)
(٣) سورة فصلت آية (٢١) .
(٤) سورة الزمر آية (٧٥) .
(٥) سقطت هذه الجملة بتمامها في نسخة (ق) .

والعرش هنا هو عرش الملكوت الذي لا تدركه صفة مخلوق ، وهو علمه المحيط بالمخلوقات كلها ، وهو الابداع الأول التام عرش الله عز وجل ، والملائكة هم الرؤساء العالون الباقون ، ويوم القيامة فاز الذين آمنوا بالجنة ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، واستقر أهل الجنة في كرامة الله عزوجل تحيتهم فيها يوم يلقونه سلاماً ، وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين . فهذه معرفة القيامة بالوجيز من القول قد القيناه إليك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



الفصل الخامس والعشرون

إعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان هذا الفصل في المبادىء العقلية على رأي فيثاغوروس ، قد وضع للذين تهذبت نفوسهم (وزكت ارواحهم) (١) من دنس الشيطان ، ووقفت على معاني المحسوسات ، وعاينت الطبيعيات ، وشاهدت الأمور الجسمانية ، واشتاقت إلى الافاضات العقلية ، والذخائر النفسانية ، والفيوضات الالهية ، لتصير إلى عالم الجنان ، ومجاورة الرحمن ذو الجلال والاكرام ، والغرض المطلوب من هذا الفصل ، والمقصود اليه ، هو ان الباري جل جلاله ، وتقدست اسماؤه لما ابدع الموجودات في المبدع الأول وهو العقل اخترع المخترعات بوساطته في النفس ، وجعلها مقدرة في الكائنات ، مكونة بحسب الأمهات والمواليد ، ورتبها ونظمها كمراتب الأعداد عن الواحد الذي قبل الاثنين ، والاثنين الذي قبل الثلاثة ، وكذلك ما بعده ، وجعل لكل جنس منها حداً مخصوصاً ، ونهاية معلومة متطابقة بعضها لبعض ، فاعلة ومنفعلة

(١) سقطت هذه الجملة ايضاً بتمامها في نسخة (ق)

هيولى وصورة، نوعاً وجنساً ، إذ رأى ذلك احكم واتقن(١) واكمل ، وأحسن ، وأهدى اليها، وأبين ، وكان العقل لها سابقاً ، والنفس بها لاحقاً ، ثم الهيولى شائقاً ، والطبيعة سائقاً ، تسوق إلى الصورة هيولاها لشوقها إلى لطائفها ، اذ بها كما لها وتمامها ، والهيولى الأولى مشتاقة إلى النفس ، وما تقبله من فيضها عليها ، واحسانها اليها ، والجسم قابل لحركاتها ، وتدبيرها ، والنفس مشتاقة إلى الفوائد العقلية ، الممدة من فوائد العقل فهي مقبلة بالرغبة ، ومتكلة في الأمور عليه ، والعقل مشتاق إلى امر باريه الذي لا ينفذ ما عنده الممد له بلطفه ما تكون به المادة للنفس ، وهو سابق الاشياء كلها ، وكذلك مادة لما دونها ، فيدوم الفيض متصلا ، والبركة عامة ، والنعمة شاملة ، و يكون العقل الأول في المثل لامر باريه سبحانه هيولى نفساً وروحاً ، وبذلك تمامه ، وكماله ، ولذلك قيل ان له عقلا، وتكون النفس هيولى لأمر العقل ، ويكون هو صورة ، وتمامية لها ، ثم كذلك الهيولى لها مثل تلك الصورة العامة المطلقة للجسم المطلق تمامية ، والهيولى البسيطة في جميع الاشياء ، فالاجزاء كالآباء والامهات كالاركان ، والمواليد كالحيطان ، وما يتفرع منها ، ويبدو عنها كالسكان للدار التي هي كمدينة واحدة يملكها ملك واحد ، فهو يسوسها سياسة مستقيمة ، وهو الله سبحانه

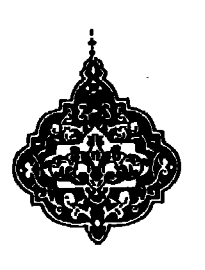
---

(١) سقطت في نسخة (ق)

وتعالى ، وكنفس واحدة ذات جسد واحد ، واعضاء كثيرة ، كما قال الله سبحانه وتعالى :

«ما خَلْقُكُمْ ولاَ بعثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ واحِدةٍ» .

وامر الله يحيط بها ، وحكمه جار فيها ، يدبرها كما شاء لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضاءه ان شاء يذهب السماوات والارض دفعة واحدة بما فيها لا ينقص شيئاً من ملكه ، ولا يقدم قدرته فعل ، وهو على كل شيء قدير ، وان شاء يبقى ذلك على ما قد فعل ، فله الامر من قبل ومن بعد ، ومنه بدأ الخلق واليه يعود لا اله إلا هو رب العرش العظيم



---

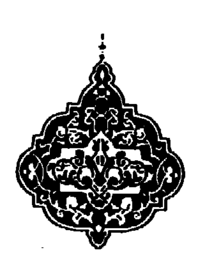
(١) سورة لقمان آية (٣٠)

الفصل السادس والعشرون

إعلم ايها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ان الحكماء والفلاسفة من اهل التوحيد في بدء الخلق ، وأول الفكرة ، قد تسموا بأسماء كثيرة ذكرناها في مواضعها ، وقد اختلفوا في الفاظها ، واتفقوا في معانيها واعراضهم فيها ، ولابد ان نذكر في هذا الفصل قولا مفسراً (١) ، وبياناً مخبراً ، ليكون ذكرى للذاكرين ، وبياناً للطالبين ، فمن الحكماء من قال : الهيولى والصورة ، ومنهم من قال : النور والظلمة ، ومنهم من قال الجوهر والعرض ، ومنهم من قال : الروحاني والجسماني ، ومنهم من قال: اللوح والقلم ، ومنهم من قال : القبض والبسط ، ومنهم من قال : المحبة والشوق ، ومنهم من قال : الحركة والسكون ، ومنهم من قال : الوجود والعدم ، ومنهم من قال: الزمان والمكان ، ومنهم من قال : الظاهر والباطن ، ومنهم من قال : العالي والسافل ، ومنهم من قال: العلة والمعلول ، ومنهم من قال : اللطيف والكثيف ، وما شاكل ذلك من ايراد القول

(١) في نسخة (م) وردت (واضحاً) .

على الأصلين ، والاشارة اليهما ، ونريد ان نبين اتفاق اقوالهم في الأصول والمعاني ، واختلافهم في الألفاظ والفروع ، ليعلموا ان الحكماء لا اختلاف بينهم في أصولهم (١) واقوالهم ، واعلم ان تمام هذه الرسالة متقدم في أول الكتاب عند الفصل الذي جاء فيه : «ان الذين قالوا الهيولى والصورة علموا بذلك انهما متممان إلى آخر الفصل ان شاء الله تعالى » .



(١) في نسخة (ق) وردت (اعمالهم) .

الفصل السابع والعشرون ،

إعلم ايها الأخ ايدك الله وأيانا بروح منه ، ان الأب والأم في الروحانية هما نيرا الليل والنهار ، فنفسك المتحركة الحساسة كائنة في الجسد من القوة الكائنة بالامر ، المتحد بالامر الثاني بالقوة المنبعثة من الوجه الناطق بالامر الجزئي المتحرك كحركة الذكر لتبدو منه بالشوق النطفة الكائن منها الجسم ، وكذلك الابوان العلويان يحدث من الاول صورة نورانية قوية منبثة من نوره ، متصلة بالبرودة ، ويحدث من الثاني بامتزاجهما واتصالهما وتكون النفس متصلة بالجسد ، وتكون الولادة والظهور من حد القوة إلى حد الفعل من بين ابوين ذكراً وانثى ، فيكون مشاكلا لما بدا منه ، فاذا ظهر وهو كامل البنية ، مستقيم الخلقة ، تام الصورة ، سلماه ايضاً والداه الجسمانيان اللذان ولدا جسمه الى واللدين روحانيين بالفعل ، فيخرجاه بالتعليم من حد القوة إلى حد الفعل ، ليظهرا(١) ما يكون في نفسه إذا القيت في طريق التعليم واكتسبت منه عقلا بحسب ما هو مقدر له ، ويدرس الكتب الالهية ، والتنزيلات السماوية ، والتأييدات النبوية ، والسياسة الفلسفية ، وان المعلم له العلوم الصناعية يكون بمنزلة

(١) في نسخة (س) وردت (ليبين) .

الام ، والمعروف له الانبياء بالعلوم النبوية ، والآراء الفلسفية ، بمنزلة الاب ، وعندئذ يعود الخلق إلى اوله ، وهو على غاية الكمال ، ونهاية التمام(١) ، فأبواه في البداية الشمس والقمر ، وأبواه في ولادة الدنيا الذكر والانثى ، وأبواه عند خروجه إلى دار الآخرة معلم حميد واستاذ رشيد ، يعمل في شرائع نبوته ، وصنائع فلسفته ، فبهذه الولادة يكون التمام ، والبلوغ إلى درجة الكمال ، ولذلك قال المسيح عليه السلام : «من لا يولـــد الولادتين ، ويرضع الرضاعتين ، لم ير ملكوت السموات» فاعلم ذلك ايها الاخ وتدبره فعساك ترقى إلى درجات الابرار ان شاء الله بمنه وكرمه ، واعلم ايضاً ان الباري سبحانه وتعالى واحد لا كواحد الأعداد ، جلّ تعالى عن تشبيه الأزواج والأفراد ، فلما كان سبحانه هو الواحد الذي لايوصف بآلة جسمانية ، ولا يسبق اليه خواطر روحانية ، وكان الاول كالاثنين ، والنفس كالثلاثة ، والهيولى الاولى كالاربعة ، والطبيعة كالخمسة ، والجسم كالستة ، والفلك كالسبعة ، والاركان كالثمانية ؛ والمتولدات كالتسعة ، ووجه آخر في ان نسبة النفس من العقل كنسبة ضوء القمر من نور الشمس ، وتأويلها ان نسبة الاساس من الناطق كنسبة العقل من الباري إذا امتلأ نوره حاكى نورها ، وتأويل ذلك ان نوره فاض على

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

الكواكب ، وكذلك النفس إذا قبلت الفيض العقلي ، واستتمت فضائلها ، كانت افعالها كالعقل ، وانما تستتم (١) فضائلها إذا هي اعتبرت احوال عالمها التي هي الصورة الانسانية ، لأن الله عز وجل خلق الانسان في احسن تقويم ، ثم صوره في احسن صورة وجعل صورته مرآة لنفسه ، ليتبين فيها صورة العالم الكبير ، وما هو مكتوب في اللوح المبين .

واعلم ايها الاخ ان الله عز وجل لما اراد ان يطلع النفس الانسانية على خزائن علوم ما كتب في لوحه ، ويشهدها العالم كله باسره ، فكان ملكه واسعاً وكرسيه محيطاً بالخلق ، وان النفس الجزئية لا تحيط بواسع ما خلقه ، وتعجز عن قراءة ما كتبه ، وان الجزئي لا يحيط بالكلي ، الا بقدر ما في وسعه وطاقته ، فاقتصد لها عالماً صغيراً خلقه بحكمته ، واتقنه بصنعته ، وصور فيه جميع ما في العالم الكبير ، واشهدها اياه ، قوله تعالى على انفسهم : الست بربكم ؟ قالوا : بلى ، فمن عرف منهم خالقه ، واقر بتوحيد مبدعه ، وقرأ في كتاب ربه الذي كتبه بيده ، واحسن قراءته وتدبر آياته ، صحت شهادته ، وكملت عبادته ، وسارع إلى عبادة ربه إذا دعاه ولباه ، وإذا ناجاه كانت شهادته حقاً ، وقوله صدقاً ، و من كان جاهلا

---

(١) في نسخة (م) وردت (تتمم) .

بما خلق له ، عاجزاً عما أهل له ، منهمكاً فيما لم يوجد من اللذات الطبيعية ، والشهوات الجسمانية ، التي لم تخلق له إلا ليأخذ منها بقدر ما يحتاج اليه غذاء لجسمه ومادة لبقاء شخصه ، حتى تكمل نفسه فضائلها ، وتتأمل خلقة باريها ، من عجائب مصنوعاته ، (وغرائب مخلوقاته) فيشهد له بالوحدانية ومن شهد بغير معرفة ، ردت شهادته عليه ، ولم تصح عبادته ، كذلك قال الله عز وجل : «إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»[1] وقال : «هلْ يستَوِي الَّذين يعْلَمُونَ والَّذينَ لاَيعْلَمُونَ»[2] ،وقال:«إِنَّما يخْشَى اللهُ مِنْ عباده الْعُلَماءُ»[3] ، وقال : «شَهِدَ اللهُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو والْملاَئِكَةُ وأُولُوا الْعلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ»[4] واعلم ان استفتاح جميع العلوم معرفة الانسان نفسه ، وهذه المعرفة تكون على ثلاث جهات(٥): احدها أن يعتبر أحوال جسده ، وتركيب بنيته ، وما يتعلق به من الصفات خلواً من النفس ، والثاني اعتبار حالتيهما جميعاً مقترنين أحدهما بصاحبه

---

(١) سورة الزخرف آية (٨٦) .

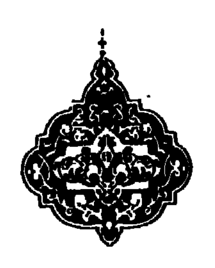
(٢) سورة الزمر آية (٩) .

(٣) سورة فاطر آية (٢٨) .

(٤) سورة آل عمران آية (١٨) .

(٥) سقطت الجملة بتمامها في نسخة (ق) .

وما ينسب إلى الجملة من الصفات ، والثاني اعتبار حال انفراد النفس من الجسد ، وكونها بمجردها مقارنة لما كسبت ، ومحاورة لما عملت ، ثم اعلم ايها الأخ ان الله عز وجل ، جعل في تركيب الانسان امثلة واشارات إلى تركيب الأفـلاك وأبراجها ، والسموات وأطباقها ، وجعل سريان قوى نفسه في كل (مفصل من) جسده ، واختلاف اعضائه كسريان قوى نفوس الملائكة في اطباق السموات ، وأقصى الأفلاك ، وقوى أجناس الجن والشياطين ، والأنس في الهواء والآفاق ، والأرض من أعلى عليين ، إلى أسفل سافلين ، وهم جملة ما هو مجموع فيها من كل شيء ، أمثلة واشارات ، إلى انه الصورة التامة ، والصنعة المتقنة ، قائماً بالحكمة ، والصراط الممدود بين الجنة والنار.



الفصل الثامن والعشرون

اعلم ايها الاخ أيدك اللهوايانا بروح منه ، ان الموجود الأول هو العقل الفعال ، وهو الموجود الباقي ، الكامل ، والثاني النفس ، وهي الموجودة الباقية التامة ، الغير كاملة ، والثالث الهيولى ، وهي الباقية لا تامة ولا كاملة ، والرابع الجسم وهو موجود ، لا باقي ولا تام ، ولا كامل ، وان ذات الباري علة وجود العقل ، وعلة بقاء العقل ، وعلة افاضة ذلك الفيض الدائم وعلة تمام العقل وقبوله ذلك الفيض ، وعلة كمال العقل وافاضته ذلك الفيض على النفس ، فبقاء العقل علة لوجود النفس ، وبقاء النفس علة لوجود الهيولى ، فمتى كملت النفس تمت الهيولى ، ومن أجل هذا كان دوران الفلك لتكوين الكائنات ، ولكي تظهر النفس باظهار فضائلها في الهيولى ، وتم الهيولى لقبول ذلك ، ولو لم يكن هذا هكذا لكان دوران الفلك عبثاً ، فاعلم ذلك وتيقن ان الجسم حجاب النفس ، والنفس حجاب العقل ، والعقل حجاب الأمر ، والأمر حجاب الكلمة ، والكلمة حجاب الباري ، فالنفس ظاهرة بالعقل ، كظهور الأمر به ، والكلمة ظاهرة بالأمر كظهور الباري ، واعلم أيها

الأخ ، أنار الله قلبك بنور اليقين حتى تشاهد هذه الأمور ، وتقف على هذه الاسرار ، فلا تفزع من موت الجسد إذا كان فيه حياة النفس ، فتكون من اولياء الله الذين يتمنون الموت ، أعانك الله وايانا وجميع اخواننا على مثل ذلك بمنه وكرمه ، كما انه يجب ان تعلم ان السادس هو مالك الأجساد قبل مجيء السابع ، فاذا جاء السابع ملك النفوس ، إذ أن النفوس بها تحيا الأجساد ، وبمفارقتها يكون موتها ، واعلم ان قوله تعالى : مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، وقال: وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وأما قوله : مثل نوره فيعني (١) العقل الكلي الذي هو أول مبدع ابدعه الله ، وقوله :

«كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْباحٌ»، «أَلْمِصْباحُ في زُجاجةٍ ، الزُّجاجةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، يُوقَدُ مِنْ شَجرةٍ مُباركَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ ولاَ غَرْبِيَّةٍ يكادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ على نُورٍ يهْدِ اللهُ لِنُورِه منْ يشاءُ» (٢) .

فهي النفس الكلية المنبعثة منه ، المضيئة بنور العقل كما تضي المشكاة بنور المصباح المشرق بنور الله عز وجل ، والزجاجة هي الهيولى الأولى الشفافة (٣) المضيئة بما يسري فيها من فيض

---

(١) في نسخة (ق) وردت (فعنى) .

(٢) سورة النور آية (٣٥) .

(٣) سقطت في نسخة (م) .

النفس عليها كفيض العقل على النفس ، كأنها كوكب دري مجردة من الصورة ومكوكبة بالأنوار الذاتية ، يوقدمن شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ، ولا غربية ، وإن النفس الكلية ذات الفروع الثلاثة هي التي تعطي الحياة والحركة لجميع الموجودات ، كوقود المصابيح والقناديل بالزيت ، لا شرقية ولا غربية ، بل مبدعة بأمر الله عز وجل ، لا مركبة ، ولا مؤلفة ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نورعلى نور ، يهدي اللهلنوره من يشاء ، أي تكاد للطفها وشرفها أن تكون عقلا ولو لم يتصل بها فلما أمرها بخيراته كان نورعلى نور ، كذلك نور العقل ، من نور النفس :

«ويضْرِبُ اللهُ الأَمْثَال لِلنَّاسِ (١) والله بِكل شيْءٍعلِيمٌ»

ولذلك كانت النار أجل الأشكال ، وأعظم الأمثال المتصلة بالنور ، وقد افتخر بها ابليس لما قال :

«خَلَقْتَنِي منْ نَارٍ وخَلَقْتَهُ (٢) منْ طِينٍ»

لأن النار تتحرك إلى العلو بالطبع .

---

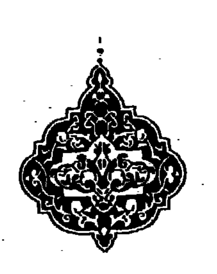
(١) سورة النور آية (٣٥) .

(٢) سورة الاعراف آية (١١) .

الفصل التاسع والعشرون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، أننا قدجعلنا هذا الفصل في العقل والمعقول ، وما هو العقل الهيولاني ، والعقل بالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعال؛ والغرض منه تعريف ذات الانسان ، وصورة الصور ، وما حقيقة النفس بجوهرها ، والاشارة إلىالباقي منها ، بعد ذهاب الجسم وفناءه ، واضمحلاله ، ورجوعه إلى بسائط امهاته ، وعودته إلى كلياته،وبقاء النفس بوجودها الصوري،وجوهرها النوري ، في عالم البعث والمعاد ، إذا فارقت محل الأجساد ، وقامت قيامتها ، وتنبهت من نومها ، وأفاقت من سكرتها ، وكيف يكون اجتماعها مع محبوبها ، وبلوغها إلى مطلوبها ، وكيف يكون وجودها بالأشياء التي حفظتها من العلوم ، وعملتها من الرسوم ، على تباينها ، وتغايرها ، وكيف تصورها الموجودات المنتزعة من هيولاها المبرأة من موادها ، بقوتها المفكرة ، ولطافتها المغيرة ، وبقوتها المميزة ، عما تتخيله ، وتخبر عنه ، حتى يكون خارجاً من حدة القوة إلى حدالفعل ، وتسير قوة ثابتة باللطف ، ثم تظهر بالآلة الصناعية السارية في

اليدين ، فتبرز (١) صورتها ، وتخرج ثمرتها ، وتصير في حيز الوجود بعد ان كانت في حالة العدم ، واعلم ان الباري سبحانه وتعالى متقدم الوجود على العقل الأول ، وهو خالقه ومبديه (٢) ، كتقدم الواحد على الاثنين ، وان من الاثنين تركبت الصورة المجردة الطبيعية ، كتقدم الاثنين على الثلاثة ، والنفس متقدمة الوجود على الهيولى الأول ، كتقدم الأربعة على الخمسة ، وكون اللطائف البسيطة عن الباري سبحانه وتعالى دفعة واحدة ، بلا زمان ولا مكان ، وشرف بعضها على بعض بنسبة القرب اليه ، والبعد منه ، فأمر الله سبحانه علة وجود العقل ، والعقل علة النفس ، والنفس علة الهيولى الأولى ، والهيولى علة الصورة المجردة .



(١) في نسخة (س) وردت (فتظهر) .
(٢) سقطت في نسخة (ق) .

الفصل الثلاثون

إعلم ايها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، ان الأركان الأربعة متقدمة الوجود على الأركان التي تحتها ، بالازمان ، والأدوار ، والقرانات ، وعالم الأرواح اللطيفة ، والأنفس الشريفة ، متقدمة الوجود على عالم الأفلاك بالدهور الطويلة ، الموجودة في القوى النفسانية بالدورات المتوهمة البعيدة ، من الدخول تحت الاحاطة والانحصار (١) ، كالاحاطة بأيام الأدوار والعصور ، الموجودة بظلمة الليل ، ونور النهار ، والزمان داخل في الدهر ، والدهر حائط بالزمان ، والزمان بدئه من حركة الفلك ، والدهر بدئه من حركة النفس الكلية ، والزمان لا يبلغ درك الدهر ، والدهر متقدم الوجود على الزمان ، واعلم ان النفس قد أتى عليها دهر طويل قبل تعلقها بالجسم ، وذلك انها تحركت حركة طويلة غير متوهمة ، كتوهم الحركات المحسوسة الكائنة في الزمان الفلكي ، وكانت في عالمها الروحاني ، ومحلها النوراني ، وفي مركزها الذي هو العقل الفعال ، تقبل منه الفيض ، والفضائل والخير ، وتتراءى

(١) في نسخة (س) وردت : (والحصر) .

فيها الأمثال العقلية الربانية ، تسمع كلامه وكانت معـــه ، ملتذة (١) مستريحة مسرورة ، فلما اقامت على تلك الحركة الفاضلة ، والنعمة الكاملة ، والبركة الشاملة ، ما لا يصل إلى تصوره الوهم الجزئي ، والتخيل الحسي ، امتلأت من تلك الفضائل ، والخيرات ، او أرادت التشبه بعلتها ، وأن تكون مفيدة ، وذاتاً تامة ، وجوداً ، فلما رأى الباري سبحانه ذلك منها مكنها من الجسم ، وهيأه لها ، وخلق من ذلك الجسم عالم الأفلاك ، وأطباق السموات من لدن فلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض ، وركب الأفلاك بعضها في جوف بعض ، فتحركت النفس فيها حركة اختيارية ، فوجدت في الأشياء المخلوقة منها قوة القبول لآثارها ، وصورت فيها صورة ما في ذاتها ، وجعلتها (٢) ، ونقشتها ، وصنفتها ، وأكسبتها الحركة ، وكانت الأشياء كثيفة بالجسم لطيفة ، وبالنفس متحركة بالقوة الباعثة لها من العدم إلى الوجود بالعناية الربانية ، والاضافة (٣) ، والارادة النفسانية ، فلما سرت القوى الفاضلة والحركات الكاملة ، في عالم الافلاك جعلتها انواراً شفافة ذات اجرام لطيفة خفيفة ، ونقشت منها مثال الصور المجردة المقراة من الاجرام التي فيها ، فصارت الملائكة للذين هم اهل الافلاك

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سقطت في نسخة (م) .

(٣) سقطت في نسخة (م) ايضاً .

امثلة لمن فوقهم من الملائكة المقربين ، ثم كذلك اهل كل سماء من لدن فلك المحيط ، إلى فلك القمر ، فأقام امر النفس جارياً على هذا الحال مدة ما شاء الله عز وجل على احسن نظام واكمل تمام إلى أن كان من آدم ما كان ، فهبطت النفوس الجزئية ، واتحدت بالاجسام ، وفارقت الاجرام ، جزاء لما استحقته من العقاب والعذاب ، بما كان منها من النسيان ، (١) والخطأ ، وتقطعت ثلاث فرق ، فرقة اتحدت بجوهرية المعادن. وفرقة اتحدت بجوهرية النبات ، وفرقة اتحدت بجوهرية الحيوان ، الذي افضله عالم الانسان ، ثم عطفت النفس الكلية بعد ذلك راجعة إلى قبول الفيض العقلي بالتوبة ، والانابة ، والاستغفار ، لمن في الارض. «ربَّنَا وسعْت كُلَّ شَيْءٍ (٢) رحْمةً وَعلْماً فَاغْفرْ لِلَّذينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ» ، وبعث الله النبيين والمرسلين والمبلغين رسالات ربهم وعمر عالم الكون والفساد ، وامتلأت جهنم من الجن والانس ، وقالت هل من مزيد، ممن اساء واخطأ ، ومن تذكر واعتبر فاز ونجا ، ومن تخلف هلك وغوى ، والدليل على ذلك قوله عز وجل : «هَلْ أَتَي عَلَى الإِنْسَان حينٌ منَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» [٣]

---

(١) سقطت في نسخة (ق).
(٢) سورة المؤمن آية (٧).
(٣) سورة الدهر آية (٢).

اي لم تكن النفس متحدة بجسمه الطبيعي فيحتاج ان يذكر منه ما بدت، «إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً»[1] يعني هداه السبيل إلى حياته، والطريق إلى رحمته، اما شاكرا لنعمه إذ هداه وارشده، واما كفوراً بنعمته، منهمكاً في رقدته وجهالته، ثاوياً في ضلالته، «إِنَّا اعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً» (٢). يعني عالم الكون والفساد، فلا تزال الاشياء موجودة على ما هي به (٣) من اجتماع الكثيف باللطيف، ما دامت النفوس الجزئية متحركة بالنشوء والبلى، والكون والفساد والترقي من الحال الادنى إلى الحال الاعلى، حتى ترقى كلها وتتصاعد بأجمعها، كما تتصاعد البخارات من المياه، وتصير في الغيوم، ولا يبقى في الاواني إلا تفالاتها فيرمى بها إذ لا حاجة إليها.

---

(١) سورة الدهر آية (١).

(٢) سورة الدهر آية (٣).

(٣) سقطت في نسخة (س) عليه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الواحد والثلاثون ،

إعلم ايها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، ان النفوس الجزئية سترجع إلى النفس الكلية بأجمعها ، وتصير في عالمها الروحاني ، ومحلها ، وحالها الأزلي ، ووقتها الدهري ، الأبدي ، السرمدي ، الذي لا نهاية لطوله ، والذي كانت فيه قبل تعلقها بالجسم كما قال الله عز وجل :

« كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ » [1]

ولكن بعد مضي الدهور الزمانية الطوال ، والكرور ، والادوار والعصور ، وخراب العالم الارضي ، والمركز السفلي ، إذ فارقته النفس ، وسكن الفلك عن الدوران ، والكواكب عن السير ، والاركان عن الاختلاط بالمزاج ، ويبلى النبات ، والحيوان ، والمعادن ، وتخلع النفس الصور والاشكال ، والنقوش ، ويبقى الجسم فارغاً ، كما كان بادياً ، إذا اعرضت عند النفس فاقبلت نحوها ، ولحقت بعلتها ، وصارت عنده ، واتحدت فيه ، كاقبال التلميذ على معلمه واستاذه (٢) المتعلم

---

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٤) .

(٢) سقطت في نسخة (م) .

الحكمة منه ، الآخذ عنه ، واعلم أن النفس العالمة الناطقة إذا تصورت بها هذه الحركة الروحانية تصوراً عقلياً قدرت بها على التحرك الباعث لها إلى عالمها فرحانة (١) مسرورة ، ومتى غفلت عن ذلك ، وعطفت على الحركة الكثيفة الموضوعة على الجسم تصورت فيها ثقيلة (٢) كثيفة لا تقدر بها على الخلاص منها ، والبعد عنها ، وتبقى في عالم الكون والفساد مقيدة في اعمالها القبيحة (٣) وأفعالها السيئة ، والحركة الاولى المفروضة على أجسام العالم الانساني ، والخلق الآدمي ، ما منهم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ، يعني الواضعين الاشياء في غير مواضعها في جهنم عالم الكون والفساد ، ففي هذا البرهان إلى ظواهر الشرائع أجسام تكون علومها أرواح ، وانه لا قوام للأرواح إلا بالأجسام ، ولا قوام للأجسام الا بالأرواح ، وانه متى عطفت النفس على محبة شهوات الجسم حشرت معه ، وبقيت حيث هي لا تفارقه ، ومتى أقبلت النفس على محبة من هي بالنسبة اليه أقرب اصبحت احق باللحوق به ، ومن واجبها ان تكون معه ، حيث كان كما قال رسول الله ﷺ « المرء

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سقطت في نسخة (ق) .

(٣) في نسخة (م) وردت (الرديئة) .

يحشر مع من احب » فاحرص يا أخي ان تكون محبتك خالصة لله عز وجل كما قال الله سبحانه لنبيه ﷺ لما أمره ان يدعو عباده اليه:

« قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ » [1]

واتباع الرسول لا يكون إلا بهدى ، والهدى هو النور ، والنور هو الروح الذي من أمر الله سبحانه ، وهو النفس الكريمة ، والروح القدسية » ، كما قال الله عز وجل :

« نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الامينُ ،عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ » [2]

فقد صح بهذا الاعتبار ان الحركات الدينية المنبعثة من جانب الله عز وجل ، الداعية إلى عبادته ، ومعرفته حق معرفته ، مبنية على مثل ما أبدعه من موجوداته ، واخترعه من مصنوعاته. ولذلك قال جل اسمه :

«سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ [3] حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»

يعني الدين الذي أقامه والشرع الذي شرعه لعباده ، ولما كان جل اسمه منزهاً عن صفات الجسمانيين والروحانيين والنفسانيين ، وجب على الموصوفين بهذه الصفات تنزيه مبدعهم عما يجدونه فيهم ، فلذلك استحق العبادة من عالم السموات والأرض ، والجن والانس ، والعقل والنفس ، كلهم عباد مربوبون ، مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وكل منهم في مقام معلوم .

---

(١) سورة آل عمران آية (٣١) .
(٢) سورة الشعراء آية (١٩٣) .
(٣) سورة فصلت آية (٥٣) .

الفصل الثاني والثلاثون

إعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، ان النفس موجودة بعد مفارقتها الجسد، لانها كانت مخلوقة قبله بزمن طويل ، كما ان الباري عز وجل قد أفاض على العقل جميع الموجودات، وان العقل الذي هو اول موجود أوجده الله عز وجل بكلمته ، هو جوهر بسيط روحاني ، فيه صور جميع الموجودات ، كما يكون في نفس الصانع صور المصنوعات قبل اخراجها ووضعها في الهيولى ، وهو مفيض تلك الصور على النفس دفعة واحدة ، بلا زمان طويل ، وأما علم الانسان بالباري جل اسمه وتعالى جده وذكره ، فباحدى طريقتين احداهما على العموم، وأخرى على الخصوص ، فالتي على العموم هي المعرفة الغريزية التي في طباع الخليقة اجمع ، وذلك ان الناس كلهم، العالم منهم والجاهل ، والمؤمن والكافر ، يقرون بوجود الصانع ، ويفزعون اليه بالرغبة والدعاء (١) والتضرع ، في كل المواضع ، حتى الحيوانات فقد قيل انها في سنين الجدب ترفع رؤوسها إلى السماء تطلب الغيث (٢) ، وأما معرفة الخصوص فهي الوصف

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) في نسخة (س) وردت (الرحمة) .

بالتجريد والتنزيه ، وهي التي في طريق البرهان، ويختص بها فضلاء الناس ، وهم الأنبياء ، والفضلاء، والحكماء ، والأخيار ، والأتقياء ، والأبرار .

واما قول الله عز وجل :

«مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاْ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» [١]

يعني انه لوقبض جوده عن النفس الكلية بواسطة العقل ، لذهب العالم بأسره ، وبطلت اقسامه ، وفسد نظامه في لحظة واحدة ، واما ماهية الايمان ، وخصائل المؤمنين ذوي البصائر ، الناظرين في الآيات المكتوبة والدلائل المنصوبة في الآفاق ، والأنفس ، والغرض المقصود اليها فيها ، والمطلوب منها هو معرفة الايمان بالحقيقة ، وهو الرضى والتسليم لقول المخبرين الصادقين عن الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى :

«آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ منْ رَبِّه وَالْمُؤْمنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَته وَكُتُبِه وَرُسُله لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ [٢] منْ رُسُلهِ وَقَالُوا سَمعْنا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصيرُ»

واما الجلالة الروحانية ، والرتبة السماوية، والدرجة الايمانية ، واما الالهام ، والوحي ، والوسوسة (٣) ، واليقين ، والجدل .

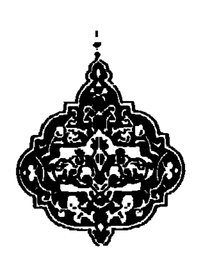
---

(١) سورة لقمان آية (٣٠) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٨٥) .

(٣) سقطت في نسخة (ق) .

والكفر ، والطغيان، والهداية ، والايمان ، وقد قدمنا شرح هذه المعاني كلها فيها كما شرحناه في غيرها إذا كانت المعاني متفقة في الاشارة ، واما حقيقة الايمان، والرضى والتسليم ، والتصديق واليقين ، فهي عن المؤمنين الذين هم اتباع المرسلين ورفقاء عباد الله الصالحين ، واوليائه المكرمين ، والعهود المأخوذة عليهم هي الامر لهم بالوفاء ، والصفاء من دنس الشرك ، والريب ، والشبهة (١) وتجنب الخيانة ، ولزوم الطاعة ، والبعد عن المعصية ، وقول الحق، ولزوم الصدق ، ومعرفة الله حق معرفته ، وطاعته ، وعبادته، والتقرب اليه بما يرضيه من الأعمال الزكية ، والاخلاق الرضية، والآراء الحميدة ، والاعتقادات الجيدة (٢) ، فهذه صفة الايمان، والمؤمنين ، وخصالهم المعروفة ، واعمالهم الموصوفة، فاعرفها واعمل بها تكن منهم ان شاء الله تعالى .



(١) في نسخة (م) وردت (الاشتباه) .

(٢) في نسخة (ق) وردت (الفاضلة) .

الفصل الثالث والثلاثون

إعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز :

«هُوَ الَّذي يُصَوِّرُكُمْ في الأَرْحَام كَيْفَ يَشَاءُ» (١)

وكذلك قال عن آدم عليه السلام : انه خلقه بيده ، ويد الله المصورة هي الملك الموحى اليه بأمره ما يشاء من تصوير الخلقة ، وتتميم البنية ، وتنبئة الملائكة ، وجنود الله عز وجل ، فاعلم ذلك ترشد ، واعلم ان آدم لما كشف ما أمره الله بستره ، وصيانته ، وحفظه من عدوه ، وقع بالخطيئة ، لانها الامانة المستورة التي لا تحملها السموات والارض والجبال، وتصدى لحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا ، وقوله :

«خُلِقَ الإِنْسَانُ منْ عَجَلٍ (٢) سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونَ» .

ومع العجلة الندامة فتأمل يا اخي هذه المواضيع العجيبة التي تعب (٣) العلماء في استنباط معانيها ، واعلم ان من يشهد

(١) سورة آل عمران آية (٦) .

(٢) سورة الأنبياء آية (٣٧) .

(٣) وردت في نسخة (س) (عمل) .

بصحة رسائلنا ويقوم بحجتها توضح له الآيات المكنونة في الآفاق والانفس مما خطه القلم الكريم في اللوح المبين، واثبته في العالم مخبراً بالآيات للناظرين في ملكوت السموات والارض، وكتاب الله الذي كتبه بيده، وجمع فيه الاسماء كلها مختصرة من العالم الاعلى، فقال:

«وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ»(١) وقال سبحانه: «إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ(٢) عَلَيْكَ حَسِيباً» وقال: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي (٣) عِلِّيِّينَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ».

إذاً قد جاء بالبرهان ان الفلسفة هي الحكمة، وهي منحة النفس منحها اياها الله لتكون بها سعادتها، وتعلمها كمالها، وبكمالها جمالها، وبجمالها انتقالها إلى دار المحاسن العلوية، والاخلاق الملكية، والمقامات العالية، والدرجات السامية، وبذلك تنال البقاء الدائم، والنجاة بعد العذاب المهين، وما قولك بمن الفوا الاعتقادات الفاسدة، واعتادوا عادات السوء، والقول بأن الشر من عند الله، وقد خلقه، وانه مريد له تنزه الله عن

---

(١) سورة يس آية (١٢).

(٢) سورة الأمراء آية (١٤).

(٣) سورة المطففين آية (١٨ — ٢١).

ذلك وتعالى علواً كبيراً ، وقد دعاهم الكفر إلى هذا التأويل واستشهدوا عليه بأسوأ دليل، ولم يتفكروا (١) ، ولم يتدبروا هذا القرآن الذي ضربت فيه الامثال الدالة على المعاني الخفية، والاسرار اللطيفة ، والعلوم الغامضة (٢) التي لا يعلمها إلا الله، والراسخون في العلم من تلك الشجرة الطيبة التي :

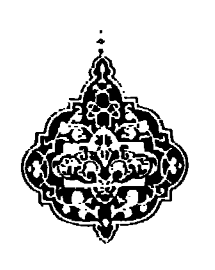
«أَصْلُهَا ثَابِتٌ (٣) (في الارض) وَفَرْعُهَا في السَّمَاءِ ، تُوْتِي أَكُلَهَا كُلَّ حينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ» وكقوله تعالى : « اجْتُثَّتْ منْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا منْ قَرَارٍ »(٤) ،«وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ منْ طُورِ سينَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصبْغٍ (٥) لِلآكلينَ » ، «وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ في (٦) أَصْلِ الْجَحِيمِ» ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطينِ ، فَإِنَّهُمْ لآكلُونَ منْهَا فَمَالِئُونَ منْهَا الْبُطُونَ» .

واعلم ايها الاخ ان السعداء النجباء من اخوان الصفاءوخلان

---

(١) في نسخة (م) وردت (ولم يعتقلوا) .
(٢) في نسخة (م) وردت (المستورة) .
(٣) سورة إبراهيم آية (٢٤ و٢٥) .
(٤) سورة إبراهيم آية (٢٦) .
(٥) سورة المومنون آية (٢٠) .
(٦) سورة الصافات آية (٦٤) .

الوفاء ، وأهل البصائر من ذوي السرائر ، يقولون :
«رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا(١) عَذَابَ النَّارِ»
وليسعد من نظر في ذلك واعتبر ؛ ونفعته الذكرى ، ان يذكر ويستعد للرحلة من دار الفناء إلى دار البقاء، ويتذود من دار الدنيا إلى دار الآخرة ، فان خير الزاد التقوى قبل فناء (٢) العمر ، وتقارب الاجل ، و فوات الأمل ، وقبل ان تقول كما قالت الاشقياء :يا ليتنا« نُرَدُّ فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذي كُنَّا نَعْمَلُ»(٣) ونغتنم السلامة قبل الحسرة ، والندامة، فقدقيل في الخبر المأثور. انه لا غبطة كغبطة اهل الجنة ، ولا ندامة كندامة اهل النار :



(١) سورة الصافات آية (٦٥) .
(٢) في نسخة (س) وردت (إنقضاء) .
(٣) سورة الأعراف آية (٥٢) .

الفصل الرابع والثلاثون

إعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان ابليس اللعين الروحاني الذي يجري مجرى الدم من ابن آدم هو كما قلنا بمنزلة للنفس الغضبية الشهوانية الحائدة عن التقوى ، والمنعكفة على شهوات الدنيا فانها ايضاً في اوان دور الكشف تضعف قوتها ، وتقل شهوتها ، وتقهرها (١) النفس الناطقة ، إذا ايدتها النفس الكلية بظهور النفس الزكية ، والافاضات العقلية ، وتلاشي الامور الطبيعية ، وخراب المحاسن الدنيوية ، وحدوث امر الآخرة ، والنشأة الثانية ، والبعث الجديد ، والقيامة الكبرى ، فلا تكون حينئذ نفس حيوانية ، وذلك ان الحيوان لا يكون في ذلك الزمان ، لان الفلك يتشكل بتشكله التام ، ولما كان الشكل التام صورة الانسان بالتمام وجب ان يكون في ذلك الزمان ظهور الاشياء كلها بالتمام ، ولما كانت صورة الحيوانات كلها ناقصة عن التمام وجب الا يكون في ذلك الزمان شيئاً بحال النقص فلذلك وجب البرهان في الظهور ان الحيوان الصامت المكبوب لا يكون في ذلك الزمان ، وانه يفني ويضمحل ويغيب حتى لا يرى ، ويكون للعالم كله في الصورة الانسانية التي هي احسن

(١) في نسخة (ق) وردت (تغلبها) .

الصور ، وقد قال الله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » (١) . فعند ذلك يكون الانسان بنفسه الشريفة الروحانية اللطيفة ملكاً مستغنياً عن الحيوان الصامت ، وغير محتاج اليه ، وبالبرهان إذا استغنى الانسان عن الآلة التي كان محتاجاً اليها في وقت من الاوقات لا يبالي بفقدها ، ولا يتألم لزوالها وعدمها (٢) ، إذاً فلا بقاء للحيوان في يوم القيامة ، ولا وجود له بالنوع الذي هو عليه الآن ، وانه يرقى تدريجاً حتى يلحق بالصورة الانسانية. والتمام في منازله ، وعند بلوغ الاشياء إلى تمامها ، وكونها على افضل حالاتها ، واتم غاياتها ، فانه بالفضائل تتخلى النفس عن الطبيعة دفعة واحدة ، وترجع إلى التعلق بالعقل ، لا يشوبها كدر ولا يتعلق بها علق من الطبيعة ، ولا عائقاً يعوقها ، لتقبل منه الفيض الكلي ، والجود المحض ، فيكون عند ذلك لها من اللذات ، والنعمة ، والبهجة ، والسرور (٣) ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطرت على قلب بشر . فان البرهان قد قام وقضية العقل قد شهدت بزوال اشخاص الابالسة والشياطين من الجن والانس الذي « يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ »(٤)

(١) سورة التين آية (٤) .

(٢) سقطت في نسخة (م) .

(٣) سقطت في نسخة (م) أيضاً .

(٤) سورة الأنعام آية (١١٢) .

زُخْرُفَ الْقَوْل غُرُوراً » . فشياطين الجسم ، وشيطان النفس الخالي من نور الحكمة الذي غلبت نفسه الغضبية على نفسه الناطقة ، وتبعتها على ارادتها ولذتها ، فصارت مثلها ، واقبلت تجذب اليها من اغتر بزخرفها(١) وراقه منظرها ، الا ترى إلى قوله تعالى حكاية عن ابليس لما قال : « فَبِعزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » (٢) . عنى بهم الذين تخلصت انفسهم الناطقة من انفسهم الغضبية ، وقهرتها فقال عز اسمه : « إنَّ عِبَادِي (٣) لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » . فكل من غلب هواه على عقله ، فهو ابليس وكل من اطاع نفسه الغضبية ، وادخلته الحمية الجاهلية ، والغضبية للباطل ، فهو شيطان وان كان من اهل القول بظاهر التكليف من امور التنزيل يراءي الناس به ليأكل من اموالهم ، ويدعوهم إلى المحال ، وينمق لهم زخرف(٤) المقال ، يظهر العبادة ، ويخفي المكر والخيانة ، فهو من شياطين الأنس ، ومن يضع الساقط في الموضع الجليل ، ويرفع الجو السفلي إلى غير موضعه ، ويعطيه ما لايستحقه ، والآخر العلوي يحطه من منزلته ، ويضعه

---

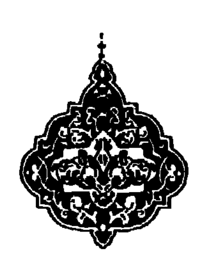
(١) في نسخة (ق) وردت (أعجبه) .

(٢) سورة حي آية (٨٢) .

(٣) سورة الحجر آية (٤٢) .

(٤) في نسخة (س) وردت (القول) .

في غير موضعه ، فهو شيطان من شياطين الجن حمال الخطايا مرتكب الأوزار ، واعلم انه لما طالت المحنة بآدم عليه السلام استرجع القول ، وناجى ربه وتوسل اليه بالقائم الذي سيظهر في وقته بالحقائق ، وبالمقامات العالية في ذلك الزمان الذين هم الكلمات التامة ، والآيات الطاهرة ، وانه لم يتعد ذلك ، وانما اشتاق إلى تلك المنزلة الجليلة ، والدرجة الرفيعة ، بغير انكار ولا استكبار عن الاقرار بفضل صاحبها ، فعند ذلك تاب الله عليه وزوجه ، ويسر لهما المعيشة ، وبعث اليهما ملكاً من ملائكته فعلمها ما يحتاجان اليه .



الفصل الخامس والثلاثون

إعلم ايها الاخ ايدك الله وايانا بروح منه ان النفس الغضبية هي ابليس الروحاني ، واما ابليس الجسماني فهو الذي انكر الحق وادعى بغير مرتبته، وان القائم صلوات الله عليه هو صاحب الدور السابع ، وهو دور الكشف كما قال الله تعالى :

«كَمَا بَدَأْنَا أَولَ خَلْقٍ نُعيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّافَاعلينَ» (١)

فالسبعة النطقاء مثل الكواكب السبعة، ومثل ايام الأسبوع ، فاذا انتهى الامر عاد إلى الاول ، كما ان علوم الناس لا يتفرع عنها من المقولات عليها، وهي مثل الآباء الثلاثة المرسلين آدم ، ونوح ، وابراهيم ، صلوات الله عليهم، فهم الآباء ومنهم تفرعت العلوم ، والحكمة، وهم اصل موضوعات الشرائع ، والصنائع ، والملك ، وان نهاية علم الانسان بالعلوم الشرعية ، والنواميس ، الالهية ، واعلم ان صاحب الدور السابع المؤيد بسعة اللطافة في المعارف هو الغاية، وبه تكون النهاية وقيام القيامة ، واعلم ان كل من اجاب دعوة الأنبياء، والأئمة الهادين ، والخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم الذين هم قيام

---

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٤) .

في الارض مستحفظين للودائع ، وهم توابيت الحكمة ، وبيوت الله ، يرفعون اسم الله ومعهم تابوت السكينة، الذي تحمله الملائكة الموكلون بحفظه حتى يقوم مستحقه، ويتوارثه الخلف عن السلف ، وانهم خلفاء الله في الارض، وخزان علمه المحض ، فمن عرفهم ، واتبع سلفهم ، واهتدى بهداهم، فقد اخلص العبادة ، ونجى من الابالسة ومن الجن، والانس الظاهرين بالعداوة، والباطنين الذين معه في جسمه الذين يجرون منه مجرى الدم، فاذا نجا منهم وتخلص من شباكهم كان ملكاً من الملائكة بالقوة ما دام الجسد، فاذا فارقت نفسه جسده صار ملكاً بالفعل ، ومن غفل عن دعوة الانبياء ولم يستجب اليهم ، واتبع شياطين زمانه ، وفراعنة وقته وأوانه ، وانهمك في شهوات نفسه الدنيئة الرزلة ، فاتته الفوائد العقلية ، وخرج من جملة الذرية الطاهرة ، وصار في حملة حزب الشياطين الجسمانيين بالقوة ، فاذا مات صار شيطاناً روحانياً غوياً مغوياً بالفعل رئيساً في ضلالته يغوي من قدر عليه بالوسوسة (١) كما قال الله تعالى :

«شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً» (٢) .

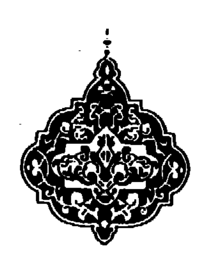
---

(١) سقطت في نسخة (م) .

(٢) سورة الأنعام آية (١١٢) .

ولا يزال هذا الامر كذلك فكل من تهذبت نفسه ، وزكت اعماله ، وحسنت افعاله صار ملكاً وارتقى في الحالة الفاضلة إلى دار الكرامة ، ومحل النعمة ، ومقام الرحمة ، وكل من اخلد إلى الطبيعة ، وسكن اليها ، وانهمك في شهواتها ، واستحل المحرمات ، وعدل عن افاضة الاشخاص ، فهو عند الموت عائد إلى دار الهوان ، ومحل الأسقام والالآم ، في عالم الكون والفساد ..

« كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » . لابثين فيها ما دامت السموات والارض .



---

(١) سورة النساء آية (٥٥) .

الفصل السادس والثلاثون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه أن ابليس سواء أكان انسياً ، أو جنياً، لم يأت آدم الا في الصورة الانسانية، ولذلك خدعه لانه كلمه وفهم عنه ، كذلك جاء في الخبر ، وكان منه ما كان ، وقضى عليه ما يقضيه على المخلوقين انه لا يبقى على حالة الدوام شيء مما دون فلك القمر بالجملة ، ولا بد له من التغير والاستحالة ، وانما كان فيه للنظرة ان تبقى منزلته محفوظة لمن يخلفه (١) فيها ، وينوب منابه ، ويقوم مقامه ، ويعمل عمله ، ويتمم دعوته ، فتكمل معصيته ، فكل عدو قام بمثل ما قام به بأزاء كل نبي بعثه الله فهو ابليس إذ كان يعمل مثله ، ويقوم بمثل ما قام به ، فكما ان كل نبي هو بمنزلة آدم كذلك كل عدو لله ولاوليائه هو بمنزلة ابليس ، ومنزلته محفوظة على ولده ، وذريته طول مدة دور الستر ، فهذه معرفة آدم وابليس وبقائهما في العالم بالبرهان فافهم يا أخي هذا العلم وثق بهذه المعرفة ، فهي الحق واطلع على هذا السر من رضيت بعقله ، وصح لك دينه ، إذا تهذبت نفسه ،

(١) في نسخة (س) وردت (يأتي بعده) .

وزكت أعماله ، ونجحت مساعيه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وبهذا العلم وأمثاله يكون الوصول إلى البقاء الدائم والسرور المقيم ، وكمال (١) السعادة الباقية في الدنيا والآخرة ، واعلم ان معنى قوله عز وجل:

«وَبدَا لَهُمْ (٢) سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا»

فهذا هو الجنون المذموم ، والعشق الغير محمود، ومثله كمثل من يعشق السودان ، وقباح المنظر من الولدان، ومن يريد الفحول من الذكر ، كي يداوي بهم ما يعرض به من البغاء، ويضع نفسه (٣) (لقبيح الأعمال) فهو مذموم في العالمين مهتوك بين الناس اجمعين ، ومن يعشق الكهول من النساء ، واصحاب الصور القبيحة ، والخلقة المشوهة (٤) ويختار السودان من الجواري ، على من عنده من الوجوه (٥) الحسان والصبايا ، والولدان ، كما قال الشاعر :

ماذا تقول هداك الله في رجل
اضحى يحب عجوزاً بنت تسعين

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سورة الزمر آية (٤٨) .

(٣) في نسخة (س) وردت (للقبيح من الأعمال) .

(٤) في نسخة (ق) وردت (الرديئة) .

(٥) في نسخة (ق) وردت (النساء) .

يبكي عليهـــا لقد اودى بمهجته

حب العجوز وترك الخرّد العين

فهذا القسم من الناس إذا عشقوا هذه الصورة والصفة ، ومالوا لهذه الاشياء انما يكون ضرب من الجنون، ومفارقة العقل ، ومقارنة الجهل ، وهوى النفس، وكذلك الاعتقادات الرديئة ، والمذاهب المخالفة ، لقول الحق ، ومذهب اهل الصدق ، التي يكون فيها الشرك بالله عز وجل، والالحاد في اسمائه ، وبذلك تكون نهاية الدمار، وسوء المنقلب في الدار الآخرة ، نجاك الله وأيانا منهذا الجنس ، وانواعه، وأشخاصه بمنه ورحمته ، فهذا تمام القول ، وايضاح الشرح، واقامة البرهانعلى ما قيل في العشق انه مرض نفساني، وهوى غالب، وجنون الهي ، وحقيقة المطلوب ، والغرض المقصود من هذا الفصل هو ان حقيقة العشق الفاضل ، والود الكامل هوالشوق إلى الايجاد ، والقرب من العلة الأولى ، فكل سائق اليها ، وطالب القدوم عليها ، والقرب منها ، فأعرف ذلك وتحققه ، واحتفظ به ان شاء الله ولا حول ولا قوة إلا باللهالعلي العظيم .

الفصل السابع والثلاثون

إعلم ايها الأخ أيدك اللهوايانا بروحٍ منه ، أن النفس الجزئية المجسدة لما كانت ثلاثة انواع ، كان منها النفس الشهوانية النباتية ، وعشقها يكون للمأكولات والمشروبات والمناكحات والنفس الغضبية الحيوانية وعشقها يكون نحو القهر والغلبة وحب الرئاسة ، والنفس الناطقة وعشقها يكون نحو المعارف واكتساب الفضائل ، ومثل هذه القوى الثلاث مع النفس الجزئية كمثل شجرة لها ثلاثة فروع تميل اليها . واعلم ان من قام في العالم بأمر اللهعز وجل ونهيه ، ومراده ، ونهيه في عباده ، وبلغهم رسالاته وصدق عنه في مقالاته ، فهو وجهه ، ولسانه ، ويده ، وجنبه في عالمه الارضي ، وخلقه البشري ، اذا كان هو المؤيد له بذلك من قوته ومشيئته ، كما قال تعالى : « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى » (١) ومن كان لهذا الشخص مصدقاً ، ولقوله محققاً ، ولأمره متبعاً ، وعن نهيه مرتفعاً ، ولأمره خاضعاً ولديه واقفاً ، كان بالقرب منه اولى ، ولوضع حكمته أهلا ، وهو لا شك يورثه مقامه من بعده ، ويكمل شريعته بمجاهدة

(١) سورة الأنفال آية (١٧) .

عدائها ، واظهار تأويلها ، والقيام بما تحتاج اليه الأمة منها بما يكون به حياتها ، ونجاتها ، وسلامتها ، ومن خالف امر هذا الشخص وتكبر عليه ، وظلمه بالمكر ، والخديعة ، والرياء ، والشقاق ، والعصيان ، والنفاق (١) ، واظهار المحبة له في ظاهر ما يبديه ، واضماره خلاف ما يخفيه ، كما قال الله تعالى: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» (٢) : فلا شك ان هؤلاء هم الذين «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (٣) . وهم جنود ابليس ، وخيله ورجله ، وكل من اخذ غير حقه فهو ابليس لأنه استكبر على رئيس زمانه ، ووقته ، وخالف امره كمخالفة ابليس امر ربه ، وتكبره على آدم صفوة الله وخالصته (٤) ، فأعرف هذا الامر انت ، ومن قبلك ، ان شاء بمنه وكرمه ، واعلم ان اصحاب التأويل هم خلفاء الانبياء صلوات الله عليهم ، وعلماء الروايات هم اصحاب الحديث ، وعلماء الأحكام والسنن هم الفقهاء ، وعلماء التذكار هم العباد والزهاد والرهبان ، ولقد

(١) سقطت في نسخة (م) .

(٢) سورة البقرة آية (١٤) .

(٣) سورة التوبة آية (٣٣) .

(٤) سقطت في نسخة (ق) .

بان بالبرهان معرفة رتبة الأبالسة والشياطين من جميع الموجودات من المعادن والنبات والحيوان ، فكل ذلك امثال ، ودلالات بالحق شاهدات ، وبالصدق ناطقات ، على ان ذلك كله موجود في الخلقة الانسانية ، والصورة المنتصبة بين الجنة والنار فالجنة عن يمينها عالم الافلاك ، ومحل السموات ، ودار القرار ، ومحل الانوار ، والنار عن شمالها عالم الكون والفساد ، والغفلة والرقاد ، والمنقلب ، والمعاد ، كما قال سبحانه وتعالى «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ، مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (١) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ، لا مَقْطُوعَةٍ ، وَلَا مَمْنُوعَةٍ ، وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ » ، «وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ » . فافهم ايها الأخ معنى المعاد والمنقلب ، فان فيهما سر العلم ومكنون الحكمة ، أعاذنا الله واياك من سوء المنقلب ، وقبيح ، المعاد ، وخلصك وايانا من ذلك ، فمن استراح من المعاد ، والترداد (٣) ، والانقلاب الى الأرحام من الاصلاب ، فقد

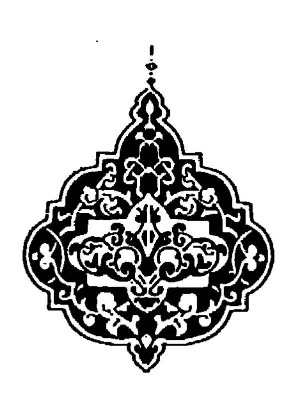
---

(١) سورة الواقعة آية (٢٧ – ٣٤) .

(٢) — — — (٤١ – ٤٤) .

(٣) سقطت في نسخة (م) .

فاز وصار في جملة الملائكة المقربين (١) ، والأنبياء ، والمرسلين ، وفارق الهيولى الجمانية ، والولادة الروحانية الطبيعية ، وعرف ذلك حق معرفته ، فلا معاد له الى محل البلاء ، ودار الشقاء ، والانقلاب الى اسفل سافلين ، مع الشياطين ، وجند ابليس اللعين .



(١) في نسخة (س) وردت (في عدد ٢) .

الفصل الثامن والثلاثون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان ائمة الباطل الداعين الى النار قد « ضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ، يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ قَالُوا بَلى ، وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ، وَتَرَبَّصْتُمْ (١) ، وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ» قال لهم اولياء الله واحباؤه الذين نورهم يسعى بين ايديهم ، وبأيمانهم ، لما قال لهم اولياء الشياطين :

« انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ، قِيلَ ارْجِعُوا (٢) وَرَاءَكُم فَالْتَمِسُوا نُوراً » . أي ارجعوا الى حكم خليفة الله في ارضه ، المدبر عالمه ، والحاكم بين خلقه ، والسائس لبريته والمستعمل لعالمه السفلي مدة من الزمن ، فاذا انتقل صارت رتبته في العالم العلوي ، والحافظ لذاته الوجود على الأبد ، وان الانسان اذا عرف نفسه المدبرة لجسده التي بها قوام ذاته ، وتتميم

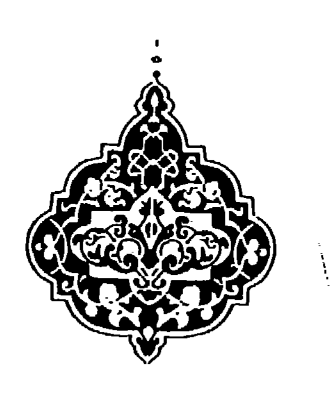
(١) سورة الحديد آية (١٣ و ١٤) .

(٢) سورة الحديد آية (١٣) .

صورته الدينية الخلقية (١) ، عرف ربه الذي استخلفه ، وأشهده عالمه ، وجعله شاهداً على نفسه بنفسه، كقوله سبحانه:

«وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَى (٢)

فمن عرف نفسه حق معرفتها ، أجاب النداء ، وسمع الدعاء ، وأقر الله بالوحدانية ، ولربه بالعبودية ، وأمكنه الوصول اليه، والزلفى فائزاً بالنعيم الابدي ، والدوام السرمدي ..



---

(١) سقطت في نسخة (ق)

(٢) سورة الأعراف آيه (٧١) .

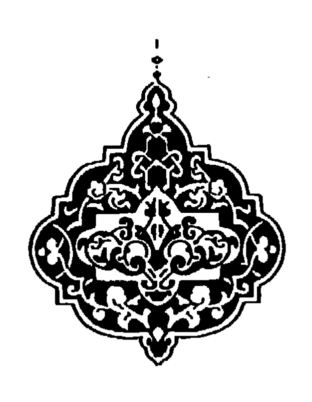
الفصل التاسع والثلاثون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان الله سبحانه وتعالى جعل الجسد نسبة لتركيب الافلاك بالكمية والكيفية جميعاً ، لان الافلاك سبع طبقات ، والانسان مجموع من سبع جواهر مماثلة ، وهي العظام ، والمخ فيها ، وفي المخ قوة العصب والعروق فيها قوة النبض ، وسريان الدم ، واللحم ، والجلد، والشعر ، والظفر ، وكل جوهر منها يزيد وينمو ، ويخلف عوض ما بلي منه ، ودامت الروح سارية فيه ، والغذاء ،والماء متصلان به ، وكل قوة تعمل في كل عضو خلاف ما تعمله قوة اخرى في عضو آخر ليكون به تماسك اجزاءه ، واستواء بقاءه ، كذلك في كل فلك من الافلاك ملائكة الله سبحانه وجنوده لا يعلم عددهم الا الله يسبحون الليل والنهار ، ويمسكون ارجاء السموات ، واطباق الافلاك ، ويفعلون ما يؤمرون ، وكل منهم في مقام معلوم ، ولما كان الفلك مقسوماً باثني عشر برجاً ، كذلك في بنية الجسد اثني عشر ثقباً مماثلة لها ، وهي العينان ، والاذنان ، والمنخران ، والسبيلان ، والثديان ، والفم ، والسرة ، ولما كانت الابراج منها ستة

جنوبية ، وستة شمالية ، كذلك قسمت الثقوب ستة في الجانب الايمن وستة في الجانب الايسر ، مماثلة لها بالكمية ، والكيفية جميعاً ، ولما كان في الفلك سبع كواكب سيارة بها تجري احكام الفلك في الكائنات ، كذلك وجد في جسد الانسان سبع قوى فعالة بها يكون صلاح الجسد ، ولما كانت هذه للكواكب ذات نفوس ، واجساد ، وافعال روحانية في النفوس ، كذلك جعل في جسد الانسان سبع قوى جسمانية ، وهي : الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغاذية ، والنامية ، والمصورة ، وسبع قوى اخرى روحانية وهي : القوى الحساسة ، واعني بها الناظرة ، والسامعة ، والذائقة ، والشامة ، واللامسة ، والعاقلة ، والناطقة ، فالقوى الخمس الحساسة مناسبة للكواكب الخمس المتحيزة ، وللقوة الناطقة مناسبة للقمر ، وللقوة العاقلة مناسبة للشمس ، واعلم ايضاً

ان للنفس الانسانية خمس قوى اخرى نسبتهن اليها غير هذه الخمسة التي تقدم ذكرها ، وسريانهن في اعضاء الجسد بخلاف سريان اولئك ، وافعالهن لا تشبه افعالهن ، وذلك ان هذه الخمسة كالشركاء المتعاونون في تناولهن صور المعلومات بعضهن من بعض ، فثلاثة منها نسبتها الى النفس كنسبة الندماء الى الملوك الحاضرين بمجالسهم ، فانهم دائماً يطلعون على علم اسرارهم ، كالعيون لها في خواص اموالهم ، وهي القوة

المتخيلة التي مجراها مقدم الدماغ ، والقوة الحافظة التي مجراها مؤخر الدماغ ، وكل واحدة نسبتها منهن الى النفس ، كنسبة الحاجب والترجمان عند الملك ، واما القوة الناطقة فهي المعبرة عن النفس ، والمجيبة عنها وعن معاني ما في فكرتها من العلوم، والحاجات ، ومجراها في الحلقوم الى اللسان ، وكل واحدة منهن نسبتها الى النفس كنسبة الوزير الى الملك في تدبير مملكته ، وسياسة رعيته ، وإنما القوة العاقلة فهي التي تظهرها النفس في الكتابة ، وفي الصنائع اجمع ، بواسطة اليدين ، والاصابع وهي الفكر ، ونطق ، وكلام ، وكتابة .



الفصل الاربعون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان العذاب الاكبر المتحد بجواهر النفوس العاصية ، المنكرة لباريها ، المتكبرة على اوليائه ، الذين كانوا يقتلون انبياء الله بغير الحق ويخونون اولياؤه (وينكرون (١)على المؤمنين) ، ويأمرون بارتكاب المحارم ، واستحلال المآثم ، هم طوائف كثيرة ولهم اعمال (٢) متباينة ، ونريد ان نذكر طرفاً منهم لتعرفهم بسيماهم كي لا تركن اليهم ، ولا تلم بواحد منهم « فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (٣) . واعلم ان منهم الجبابرة ، والفراعنة ، والنماردة مثل فرعون ، وهامان وقارون ، وجالوت ، والنمرود ، ومن يجري مجراهم من المتقلبين على الملك ، والرئاسة ظلماً ، وعتواً بغير حق ، الجالسين مجالس لم يستحقوها بأعمال ، وعلوم قدموها ، واكتسبوها تمضي بالتناهي في الضلالة ، وسبل الجهالة ، ومن اعانهم على ذلك ، من طالبي احكام الدنيا ، واستعجال نعيمها

(١) في نسخة (س) وردت (يتنكرون للمؤمنين) .

(٢) في نسخة (ق) وردت (مخالفة) .

(٣) سورة الأنعام آية (٦٨) .

فافهم ذلك ، واعلم ان النار التي قال الله سبحانه عنها «النارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً ، وَعَشِيًّا ، ويوم تَقُومُ الساعَةُ إِدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَد الْعَذَاب»(١)وقال : «وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُها كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً (٢) ، ثُم نُنْجِي الذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا» : ففي عالم الكون والفساد كل النفوس الجزئية تردها فمن تذكر ما يلقي اليه بالحكمة ، وامن كيفية انبعاثه ، وهبوطه ووروده الى هذا العالم نجا ، وفاز بمفارقتها ، وتخلص منها ، وبان عنه الى دار الكرامة ، ومحل النعمة ، ومن غفل عن ذلك بقي جاثياً ، والجثو هو الالتصاق بالارض على الركبتين،والخلود الى الارض ، والمحبة لها، وبذلك يكون دوامه فيها بالنشوء والبلى ، فأما كيفية صورة أهل النار الكبرى التي في جهنم وللعذاب الاليم ، وللذل المقيم ، فهي النفوس المعارضة المنكرة لباريها المتخلفة عن الطاعة ، والمنقطعة عن الطريق الاعلى(٣) والمتكبرة على الانبياء بعلم ويقين كما قال الله تعالى : «وَجَحَدُوا

(١) سورة المؤمن آية (٤٦) .
(٢) سورة مريم آية (٧١) .
(٣) وردت في نسخة (س) (المستقيم) .

بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواً وعدوانا» (١) ، وانهم اذا حل الموت بهم،ونزلت الملائكة الغلاظ الشداد اليهم وهي روحانيات .:

٧	٨	٣٠	٦	١	٣٠	٤٠	٢٠٠	١٠	٦٠٠
ز	ح	ل	و	ا	ل	م	ر	ي	خ

وان نزولها الى الاشخاص التي هي مستولية عليهم ، وعلى مواليدهم مخصوصة لنفوسهم وهي البرزخ المظلم ، وأول طبقة من جهنم ، وان النفوس التي فارقت الاجسام تهبط الى درجة البرزخ المظلم عندما تكون قد شذت وابتعدت عن الطريق المستقيم ، تتقلب في العذاب ويكتنفها الشقاء ولا يزال ذلك دأبها ما دامت السموات والارض ، وهي موكلة اعمالها السيئة التي اكتسبتها مدة صحبتها للأجسام في أيام الحياة الدنيا فهذه معرفة جهنم ، وصور أهلها اذا خلوا بها ، ونزلوا بساحتها ، نجاك الله ايها الأخ وايانا من عذابها وجميع اخواننا المؤمنين بمنه وكرمه .

(١) سورة النمل آية (١٤) .

الفصل الواحد والاربعون

إعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان الباب الذي تدخل منه النفوس الطائعة إلى الجنة التي هي عالم الروح والريحان هو الباب الموكل به رضوان خازن الجنان ، وبهذا العلم يكون الاطلاع في دار الدنيا على كيفية النعيم المقيم ، والملك العظيم ، ومعرفة البعث المؤدي إلى روح وريحان وجنة نعيم ، واعلم يا اخي ان النفوس الطائعة إذا كملت طاعتها ، وانتهت إلى غايتها في الصورة الانسانية ، واستحقت بأعمالها ما كسبت افعالها صورة ملكية ، ونقلت إلى رتبة سماوية ، ونزل الموت بساحتها ، نزول الملائكة الطيبون بالرأفة والرحمة. وهي روحانيات الزهرة ، وروحانيات المشتري ، وتقابلها كما تقابل القوابل ، والدايات اولاد الملوك بمفاخر امور الدنيا ، وطيبات روائحها ومناديل السندس ، والاستبرق والفرح ، والبهجة (١) والسرور ، والاستبشار ، كما قال عز وجل :

« الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ (٢) يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ».

---

(١) سقطت في نسخة (م) .

(٢) سورة النحل آية (٢٨) .

وتفرح بها الملائكة وهي معها ، فتعاين من البهجة، والسرور ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، وتبقى علاّمة درّاكة ما شاء الله مع الملائكة تتصل بالمؤمنين الأخيار في الدنيا، وتتراءى لهم في مناماتهم بالبشارة والاطمئنان ، وحسن المنقلب والطمأنينة في الآخرة ، والملائكة معها ثم بعد ذلك إذا كان يوم القيامة ، وبلوغ النهاية، عرجت بها الملائكة إلى الجنان ، والنعيم المقيم ، والملك الدائم ، ولا تذوق الموت إلا الميتة الاولى :

«وَآخِرُ دَعْواهُمْ فِيها أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١) .

وقال الله عز وجل :

«وَجَنة عَرْضُهَا السمَواتُ وَالأَرْضُ أُعِدتْ لِلْمُتقِينَ (٢)

ثم اعلم انَّ الأرواح الساهية ، والنفوس اللاهية ، يكون خروجها من اجسامها عند نزول الموت بساحتها ، وحلوله بها ، والملائكة باسطوا ايديهم ، لاحراق انفسكم وتعذيبها بالنفط ، والقطران. والنيران ، وما شاكل ذلك من الوان العذاب ، والهوان ، وشجرة الزقوم ، وماء الحميم ، والأغلال ، والسلاسل ، والقيود ، كما تكون ولادة اصحاب البلاء ، والمحن ، والفقر من اهل الدنيا ، وكذلك يكون خروج الجنين إلى انواع المحن ، إذا تغذى بلبن امه المجذومة وقبله ابوه الأجذم ، وأهل بيته أصحاب البلايا والمحن ، كذلك يكون خروج الأرواح العاصية من

(١) سورة ياسين آية (١٠) .
(٢) سورة آل عمران آية (١٣٣) .

أجسادها إلى مثل هذه الحالة في المثال ، اعاذنا الله واياك ايها الأخ من هذه الصفة (١) ، ولا جمع بيننا وبين اهل صفاتها، فهؤلاء الذين تتوفاهم الملائكة وهم لانفسهم ظالمون ، وما يحل بهم من العذاب الاليم ، والذل المقيم ،

«والذِينَ تَتَوَفاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ (٢) طَيِّبِينَ»

إلى روح ، وريحان وجنة نعيم ، والذين يتوفاهم الله بيده كما قال الله عز وجل :

«أَللهُ يَتَوَفى الأَنْفُسَ (٣) حِينَ مَوْتِهَا وَالتي لَمْ تَمُتْ مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ التي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إلى أَجَلٍ مُسَمىًّ»

وهي نفوس لها رتبة عالية ، ودرجة سامية ، وان اتباع هذه الأنفس ينجو منهم من نجا ، ويهلك من هلك بالتخلف عنها ، وهي التي قال الله عز وجل :

«وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ»

وهي النفوس المجردة المنذرة المؤيدة من الله عز وجل بكلامه ووحيه ، تلك النفوس القدسية الطاهرة المضيئة بنور الحكمة ،

---

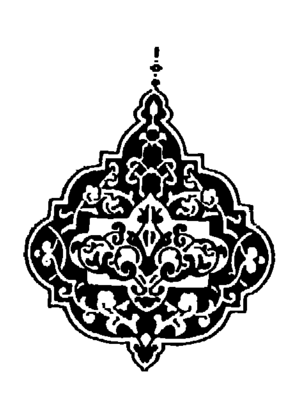
(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سورة الروم آية (٤٢) .

(٣) سورة آل عمران آية (٢٨) .

وتأييد العلم ، وفي تأويل هذه الآية سر دقيق ، وبحر عميق ، وبمعرفة ما ذكرناه ، والوقوف على ما وصفناه ، سعد من سعد ، وفاز بعد الممات بذخائر الخيرات ، والباقيات الصالحات ، فاعلم ذلك وتيقن ان اهل النار قالوا :

«رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ (١) فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ» .



---

(١) سورة المؤمن آية (١١) .

الفصل الثاني والاربعون

إعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، ان الجنة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز هي فوق الفلك التاسع المحيط بالسماوات والارض ، ثم اعلم ان صورة الانسان هي افضل الصور التي تحت فلك القمر ، وأولاها بعبادة الله عز عز وجل ، ومعرفته ، والارتقاء إلى عالم السموات بعد الممات ، وان صورة الانسان خليفة الله في ارضه وهي متوسطة بين الحالتين نازلة (في منزلة (١)) بين منزلتين ، فهو بسيط بروحه الروحانية الحية العلامة بالطبع ، مركب بجسمه ، فطبيعة جسمه اصفى الطبائع الأرضية ، والهيولى الطبيعية ، وكذلك مادته ، وغذاؤه ، ملائم لطبيعته ، وانه متى عدل عما هو له من الغذاء الذي يكون له اصلح (٢) وبه أليق ، واليه أقرب ، كان سبب فساده ، وفناءه ، واضمحلاله ، وحلول السوء به ، ووصول الأذية اليه ، ونزول الموت عليه ، وان نفسه من أجل رتبة النفوس العالية ، إذا كانت لا تتصل

(١) سقطت في نسخة (م) .
(٢) في نسخة (ق) وردت (أنسب) .

به ، وتسري فيه ، وتشرق عليه ،إلا بعد سريانها في الاشخاص الفلكية ، ونزولها مع الملائكة السماوية (١) ، كما قال عز وجل:

«تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ والرُّوحُ» (٢)

فتسكنها في الصورة والطبائع الهيولانية ، ثم تنعطف عليها نعمته بالوحي مكملة ، ومبلغة إلى افضل احواله ، فاذا قال قائل : لم وصف بالقدرة ؟ فيقال لاخراجه الأشياء من العدم إلى الوجود ، فان قال قائل فلم قيل له صانع ؟ فيقال لوضعه الصورة ، وان قال قائل : ما العقل الفعال ؟ فيقال :هو اول ابداع الباري سبحانه وتعالى ، وهو جوهر بسيط نوراني فيه صورة كل شيء ، فان قال لم سمي عقلا ؟ فيقال لانه عقل الأشياء عن الخروج عنه كما قال سبحانه وتعالى :

«لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عداً» (٣)

وان قال ما النفس ؟ فيقال : جوهرة بسيطة روحانية ، حية بالذات ، علامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، وهي صورة من صور العقل الفعال ، فان قيل لم وصفت بالحياة ؟ فيقال : لانها تأتي الأفعال ، وتحرك الجسم حركة تؤدي به إلى الصلاح العام ، والنفع التام ، فان قيل ما الهيولى ؟ فيقال : جوهر بسيط قابل

---

(١) في نسخة (س) وردت (العالية) .

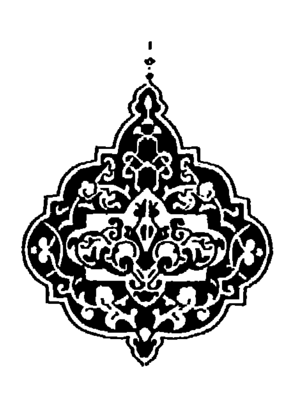
(٢) سورة القدر آية (٤) .

(٣) سورة مريم آية (٩٥) .

للصورة ، فان قيل لماذا ؟ فيقال : لانه مهيأ لقبول الصورة ، اي لقبول ما يتحد به ، كقبول الشمع اثر النقش ، واما الجوهر فهو القائم بنفسه، القابل للصفات والصنعة، فهو عرض يحل في الجوهر ، كالجزء منه ، وكل شيء متحير في مكان قائم بنفسه ، فهو جوهر ، وكل جوهر يحل بالصفات ، فهو اعراض ، وكل عرض يحل بالجوهر من حيث هو منه كسوار الاسود ، وبياض الابيض ، ومنه زائل كحمرة الخجل ، وصفرة الوجل (١) ، وان قال قائل : ما العلة ؟ فيقال هي التي تكون سبباً لكون شيء آخر ، وقيل لها علة لاعتلال ما يكون منها ويبدو عنها ، وكونها علة اخرى لكون شيء آخر ، وكذلك حتى ينتهي الاعتدال بحيث يقف عنده ممسكاً عن الفعل ، فان قائل قال : فما المعلول ؟ فيقال هو الذي لوجود سبب من الاسباب متقدم بالوجود عليه والكون قبله ، وقيل له معلول لانه مفعول ، فان قيل ما القديم ؟ فيقال : هو الذي لم يسبقه شيء يبلغه الوهم ، ولا يتصوره العقل ، ولا يحويه المكان ؟ ولا يدخل تحت الزمان ، وأمر الباري سبحانه قديم ، والعقل محدث ، والعقل والنفس محدثة ، فالعقل لا تبلغ معرفته قدم باريه سبحانه ، والنفس لا تبلغ الاحاطة بما في هوية العقل ، ورجوع العقل عن الاحاطة بما عند باريه بالشهادة له أن لا اله إلا هو ، والنفس غير حائطة بما عند العقل دفعة واحدة ، بل

(١) في نسخة (ق) وردت (الحجل) .

بالشيء بعد الشيء واتصال العقل بالنفس اتصال تبليغ عن الباري سبحانه وجل اسمه ، والباري يفيد العقل ، ويفيض عليه من جوهره الذاتي ، فجود العقل على النفس مكتسب من باريه ، وجود باريه عليه من ذاته بلا اكتساب ولا احتياج لأحد سبحانه وتعالى فكل شيء محتاج اليه ، وليس له لأحد احتياج ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وهذه الاصول الكبار تفرعت منها الاصول الصغار فأدم النظر فيه تنتفع ان شاء الله.



الفصل الثالث والاربعون

إعلم أيها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان الصراط اربعة : معوج معدني ، ومنكوس نباتي ، ومقوس حيواني ومستقيم إنساني ، وهو الناطق ، والامام صلوات الله عليهما لقوله تعالى : «وإنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ» (١). وهو البرزخ بين العالمين الروحاني ، والجسماني ، والصراط بين الجنة والنار ، قوله تعالى : «إنْطَلِقُوا إلى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ، لَا ظَلِيلٍ (٢) وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ» اعني عالم الأجسام ذو الطول ، والعرض ، والعمق ، فاعلم ذلك وتيقن (٣) ان النفوس الخاطئة ، لما اشتاقت تحركت ، ولما تحركت هبطت ، فقيدت في الأجسام ، هذا واعلم ان العقول المفارقة تسعة : وهي عقول عالم الأفلاك والعقل ، الذي ظهرت منه الموجودات بأمر الله جل ثناؤه ، وان الكواكب ذوات عقول ، ونفوس ، وأجسام ، وهي تسبح ، وتقدس باريها

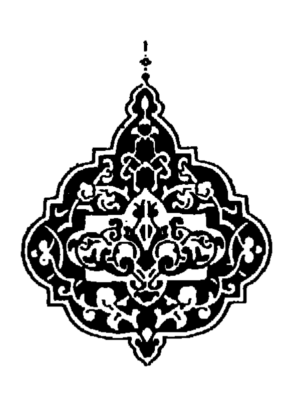
---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٣) .

(٢) سورة المرسلات آية (٣٠ و ٣١) .

(٣) في نسخة (س) وردت (وتأكد) .

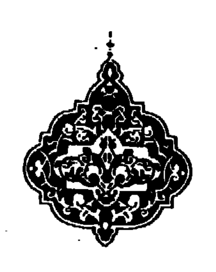
بألسن فصيحة ، كما ان الموجودات نوعان روحاني ، وجسماني ، فالروحاني ما يتصور بالفكر ، والجسماني ما يدرك بالحواس ، والجسماني ثلاثة أنواع : الهيولى الأولى التي هي جوهر بسيط منفصل ، والثاني النفس التي هي جوهرة بسيطة فعالة علامة ، والثالث العقل الذي هو منفعل من الباري جل وعز فاعل الأشياء وعلة لها ، والباري سبحانه لا يوصف بالجسماني ولا بالروحاني.



الفصل الرابع والاربعون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه، ان لكل واحد من الموجودات اربعة علل : علة فاعلة ، وعلة هيولانية ، وعلة صورية ، وعلة تمامية ، فاذا اعتبرت جميع الموجودات كلها فلا بد لها من الاربعة علل المذكورة مثال الكرسي فعلته الفاعلة النجار ، والهيولانية الخشب ، والصورية التربيع ، والشكل الذي هو عليه ، والتامية الذي يحط عليه، واما الجسم المطلق فعلته الهيولانية الجوهر البسيط المودع فيه قوة القبول التي بها قبل الطول ، والعرض، والعمق، فصار بها جسماً وعلته الفاعلة هو الباري عز وجل ، وعلته الصورية العقل ، لأن الطول ، والعرض ، والعمق انما هي للنفس ، لأن الهيولى من اجلها خلق لكيما يفعل به ، ومنه ما تعمل ، وتصنع ، ليتم الهيولى، وتكمل النفس ، وهذا يا اخي هو الغرض الأقصى في رباط النفس بالهيولى ، واما الهيولى الاولى التي هي جوهر بسيط فلها ثلاث علل : الفاعلة وهو الباري عز وجل ، والصورية وهو العقل ، والتامية ، وهي النفس واما النفس فلها علتان هما : الباري عز وجل الذي افاض الجود ، والبقاء ، والتمام ، والكمال على العقل دفعة واحدة بلا زمان ، وان العقل قد اشار

اليه بقوله في كتابه على لسان نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وآله «وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» (١) . وهو اقرب، واليه اشار بقوله : «وَيَسْأَلُونَكَ (٢) عَنِ الرُّوحِ»(الآية) فمعنى انه الروح التي راحت الاشياء اليه كلها منصوفة ، فاليه رواحها، ومنه عودتها ، وهو مبدؤها ، واليه معادها ، وقال : « آلاَلَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (٣). فالخلق هي للصور الجسمانية ، والامر هي الجواهر الروحانية وكلها لله عز وجل ، وبأمره قامت ، وبارادته كانت،وقد ظن كثيرون من الناس ممن ليس لهم علم بالامور الروحانية ان الموجودات ليست الا لله عز وجل ، والجسم وما محله الارض فاعلم ذلك ترشد .



---

(١) سورة القمر آية (٥٠) .
(٢) سورة الأمراء آية (٨٥) .
(٣ سورة الأعراف آية (٥٣) .

الفصل الخامس والاربعون

اعلم يا اخي ايدك الله وايانا بروح منه ، ان الاصل هو الذي من اجله خلقت السموات ، والارض ، وما فيهما ، وما بينهما. وهو الحق المخلوق به ، الذي قال سبحانه وتعالى : «وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ»[1] وهو الصورة المتممة المقومة لذات كل شيء ، وانه متى عدمه الانسان لا يستحق الاسم الواقع به إلا بالاشارة اليه كما قال سبحانه: «وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ[2]» ذلا علم عندهم، وقال: «إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ أَضَلُّ[3] سَبِيلاً» لجهلهم ، وغفلتهم ومن لا علم عنده فلا عبادة له ، ومن لا عبادة له لا رب له ، اذ لو كان له رب يعرفه لعبده ، ووحده ، فالبرهان ان الخلقة كلها ، والفطرة بأسرها ، للعلم خلقت ، ومن اجله أبدعت ، بالعلم يعرف وجود الله تعالى ، ويصح وجوده لمعرفة خالق موجوداته ، واعلم ان تشخيص هذه الجواهر الفاضلة لكيلا تظهر بالحس ، وتدرك بالحواس ، صعب جداً الا على المرتاضين بالعلوم الالهية ، والحكم العلوية ،

---

(١) سورة الدخان آية (٣٩) .
(٢) سورة الأعراف آية (١٩٧) .
(٣) سورة الفرقان آية (٤٤) .

والتأييدات الربانية ، فاحتفظ بهذا العلم ايها الأخ ولا تلقه (١) إلا لأهله ، فان الرسالة كلها من اولها إلى آخرها مبنية عليه ، مشيرة اليه ، وهو الغرض المقصود في جميعها ، وموضع الحكم ، وسر الخلقة ، وهو الامر الذي فوق العقل والنفس، ودون الباري سبحانه وتعالى وهو علمه المخزون ، وسره المصون منه بدأ واليه يعود ، ثم اعلم يا اخي ان البروج اثني عشر ، كالاجساد ، والكواكب كالارواح ، روحانياتها ، وقواها المختصة بكل واحد منها ، وهم الاهل ، والسكان ، وما رتبه لها الباري سبحانه وتعالى من المراتب السامية ، والحدود العالية ، والدرجات في العلي الاعلى ، وان الفلك المحيط حائط بها كلها ، وانها كلها تسبح فيه (٢) وهو الحائط بها ، والمحرك لها جميعها حركة اختيارية قائدة (٣) إلى ما هو اصلح ، ومرق لها إلى ما هو انفع ، وموصل لها تارة إلى الفوائد العقلية، لتستمد منه وتحطها عنه مرة اخرى ، لتتصل منها عما دونها للفوائد التي تصدرها اليها عنه ، فلما كانت السبعة والاثنى عشر موجودة في عالم الأفلاك الظاهرة للحس ، الموجودة بالعلم ، وجب ان يكون مثلها فيا دونها اركان بالمثل منتسبة اليها فهي له كالأصل وهو كالفرع وكانت الارض التي هي كذلك فيها سبع اقاليم واثني عشر جزيرة ، فاعلم ذلك ترشد .

---

(١) في نسخة (س) وردت (تعطيه) .

(٢) في نسخة (م) وردت (له) .

(٣) في نسخة (م) وردت (تقوده) .

الفصل السادس والاربعون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، أن للعقل الفعال هو وجه الله عز وجل الذي لا يحول ولا يزول ، تأويل ذلك انه للسابق ذو الخلقة التامة ، والابداع الأول ، ولما كان ذلك وجب ان يكون موضع كلمة الله تعالى التي بها خلق الأشياء كما شاء لا معقب لحكمه ، فسرى نوره ، وأفاض جوده فيما دونه ، وكانت النفس الكلية وجه العقل الفعال ، وهي العقل المعلول ، وتأويله النفس الكلية ، ثم الهيولى الأولى المتصل بها فيض نوره ، وقوة الكلمة بالابداع الأول ، وقد تحركت بالانفعال ، وأشرق وجهها ، ثم اتصل بها من نور للجبروت ، وبا ا وجهه الكريم ، وهي الشمس ، ثم بدا الوجه للكلي ، وهو للفلك الأعلى ، فأشرق وترتب (١) في موضعه اللائق به الموجب للحكمة الالهية ، والعناية للربانية ، ودوام اتصال تأييد للكلمة بالحد الأول ، وافاضته عليه بالتواتر ، والدوام (٢)

---

(١) سقطت في نسخة (م) .

(٢) سقطت في نسخة (ق) .

بلا زمان ، وقد أمرها بمثل ذلك ، فاستبشرت ، وضحكت انوارها ، وأشرقت اشراقة واحدة ، ودفعة واحدة بلا زمان ، وترتبت الأفلاك ، ولحظتها وأكسبتها من انوارها ، زينة ، وهي الكواكب فكانت مرتبة في مواضعها، مستقرة في اماكنها ناطقة بألسنة فصيحة ، وأدوات صحيحة ، وأقسام مستقيمة ونسبة فاضلة ، بالتوحيد لمبدعها ، والتسبيح والتقديس لخالقها ، وهي عالم الأفلاك العالية ، وما فيها من العوالم الروحانية ، وهي أول الفيض ، ورأس الامر ، ثم كانت اللحظة الثانية فضعفت عن اللحاق بالقوة الاولى ، وترتب الوجه الثاني ، وهو القمر ، وان فلك القمر في مركزه يكون وجهه ، والنفس الكلي في مركزه ، وقد دبر ما تحته ، سلم اليه الوجه الأول لتدبير ما دونه ، وأمده منه بالفيض والجود ، فلذلك صار يأخذ ويعطي ، ، ويفرغ ، ويمتلىء ، والاول قائماً بذاته ، ممتلئاً من أنواره ، مستقيماً في مسير حياة العالم بأسره ، ومداره بالقوة المتصلة ، وهو قطب السعادة العالية (١) ، وله المثل الأعلى في السموات والارض ، ومنزلته كمنزلة الجامع للحواس الفاضلة ، وان الامر والنهي بمنزلة القلب ، وما ينحط اليه من الحواس الروحانية ، كما قال الله عز وجل :

«نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ، (٢) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

(١) سقطت في نسخة (ق) .

(٢) سورة الشعراء آية (١٩٣ – ١٩٥) .

الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » .

فالروح تنزل على القلب ، ثم تتصل القوة باللسان ، ومكانه الوجه ، ويصدر عنه الامر والنهي ، بالنطق ، فبالامر تتكون المكونات ، وبالنطق تتم المقولات ، مع الأخبار ، بما كان ويكون ، والقوة المتصلة بالقلب مثلها كمثل نار الكلمة المتحدة بالامر إلى ينبوع الحياة ، فاذا انزلت الروح على القلب بالاول الفعال اتصلت بوجهه ، فنطق بالقول كن فكان ، ما شاء الباري سبحانه ، وأشرق الوجه الأول ، وقام بالامر ، فبدا الكون ، ثم ترتب الوجه الثاني ، ونطق بالامر الملقى اليه من الأول ، فكان مما دون ذلك ، فصارت كلمة كن مبنية من حرفين ، فالكاف متصلة بالعلوم ، وهي بحد الوجه الاول ، والنون منحطة إلى اسفل بادية عن الاول ، وهو الكاف ، المكمل والمبلغ (١) إلى افضل الأحوال ، فان قال قائل : لم وصف بالقدرة ؟ فيقال لاخراجه الأشياء من العدم إلى الوجود ، فان قال قائل : لم قيل له صانع ؟ فيقال : لوضعه الصورة في الهيولى ، وان قال قائل : ما العقل الفعال ؟ فيقال : اول مبدع ابداعه الباري سبحانه وتعالى ، وهو جوهر بسيط نوراني فيه صورة كل شيء ، فان قال : لم سمي عقلا ؟ فيقال : لأنه عقل الأشياء عن الخروج عنه احصاء وعدأ ، وكما قال الله تعالى :

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

«لَقَدْ أَحْصَاهُمْ (١) وَعَدَّهُمْ عَداً» .

وان قال ما النفس؟فيقال: جوهرة بسيطة روحانية حيةبالذات، علامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، وهي صورة من صور العقل الفعال ، فاذا قال قائل : لم وصفت بالحياة ؟ فيقال : لتأتي الأفعال منها ، وتحريكها للجسم حركة تؤدي به إلى الصلاح العام والنفع التام .

---

(١) سورة مريم آية (٩٥) .

الفصل السابع والاربعون

إعلم ايها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، انه قال قائل ما الهيولى ؟ فيقال : جوهر بسيط قابل للصورة ، فان قال قائل : فلم قيل له الهيولى؟فيقال : لأنه مهيأ لقبول ما يتحد كقبول النقش والتصوير إذا لصق به ،فان قال:ماحقيقة الجوهر وما هو؟ فيقال: هو القائم بنفسه القابل للصفات ، والصفة عرض حال في الجوهر ، كالجزء منه ، وكل شيء متحيز في مكان ، قائم بنفسه ، فهو جوهر ، وكل ما حل فيه من الصفات فهي أعراض ، وكل عرض بالجوهر من حيث هو منه ثابت ، كسواد الاسود وبياض الابيض ، وهي منبعثة من العلو إلى اسفل وراجعة (١) بنقطة في آخرها ، وهي الوجه الثاني ، وكذلك قيل : ان الثاني ذو طرفين طرف يستمد ، وطرف يمد ، وكذلك الوجه الثاني يمتد حتى يمتلىء ، ويلقي ما فيه نحو عالم الكون والفساد ، للاتحاد بالاجساد ، والارتقاء بالاعمال الزكية المتصلة بها بقوة الكلمة ، وهي بمنزلة الرؤساء الواردين في القرانات بالامر والنهي ، المتصلين بالوجه الاول بواسطة الوجه الثاني ، وهما وجه العالم

---

(١) في نسخة (ق) وردت (وعائدة) .

العلوي ينبؤنه – ويشرحونه للعالم السفلي ، كما ان القلب مخفي في الباطن لا يرى ولا يظهر ، فيعاين ما يتصل به من الوحي والالهام ، وما يبدو منه من القوى المنبثة في الحواس الخفية الكائنة بلا زمان ، ولا يعرف لها حقيقة او مكان بالعيان ، فكذلك اتحاد الكلمة بالحد الاول بالقوة ، ثم تنبت منه ، وتتصل بوجهه الكريم ، فتشرق انواره ، وتبتسم فرحاً بما اتصل به ، ويضحك شكراً للمنعم عليه فتبدو عن ذاته الموجودات يتلو بعضها بعضاً على الاستواء ، والكمال ، والنظام ، وانتظام الاقسام ، ويتصل بالامر العالي الكريم ، وهو الواسطة ، والترجمان بما يستقبل منه ، ويقبل به على من دونه من آية الله ، فالاول وجه الله ، والثاني الوجه الملتقي فوائد نعمة الله عز وجل ، فالامر بقوة الكلمة مخفي متواتر (١) لا يظهر ولا يعلم منزلته من الصفاة بالمكان ، والزمان ، والظهور بالفعل عند الامر ، إذا نطق الوجه ، وتحرك لاظهار الاشياء للجسد ، ولكن لا يراه الا من هداه الله اليه وانعم عليه بمعرفة ما رمزنا به ، واشرنا اليه ، فهو السر الدقيق ، والبحر العميق ، وان كنا قد لوحنا به (ودلينا (٢) عليه) لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ، ولا يزال الوجه الثاني يطلب التشبه بالوجه الاول ، الثاني ،

---

(١) سقطت في نسخة (م) .

(٢) سقطت في نسخة (ق) .

ويتحرك بالشوق اليه ، ويأخذ من فيضه ، ويقبل جوده (١) دائماً ، حتى يمتلىء ، ثم يعجز عن قبول ما ليس في وسعه ، ولا طاقة له ، فيقف ، ثم يلقي ما فيه على من دونه ، ويسرع بذلك ليتقبل فيضاً آخر ، فلذلك يتواتر الكون والفساد كلما مضت قرون ، وبادت امة يكون مثلهم اخرون ، ذلك تقدير العزيز العليم ، وانه الوجه الاول ، والكلمة متصلة به بلا زمان ، بل انه جعل نوره مكان القوة المتصلة به ، لانه لا يعجز عن قبول الفيض ، وانما صارت رتبة الثاني دون رتبة الاول ، لأن الفيض الاول ابداعي لاهوتي معرى عن الصفات لا يدرك بالوهم ، ولا يقف عليه فكر ، ثم يبدو عن الحد الاول بالقوة المبدعة حتى يتصل بالوجه فيشرق بالفعل ، فيكون الكون الاول بمعنى الفطرة الاولى الكائنة منها ، الصادرة من عالم الكون والفساد ، وسكان السموات ، وانوار الكواكب ، ولهم من الرحمة واشراق للنور بقدر ما في كل واحد منهم من القول والوسع (٢) ثم تنحط الانوار نحو ما دون ذلك ، فيتصل بالوجه الكائن ، فيمتلىء ويفيض على من دونه ، فافهم ايها الأخ هذا المعنى ، وتدبر هذا الكلام لتكون حكيماً فيلسوفاً (٣) ،

---

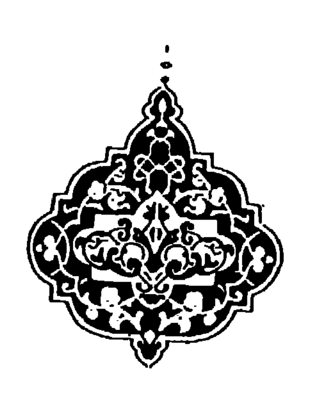
(١) في نسخة (ق) وردت (نوره) .

(٢) سقطت في نسخة (س) .

(٣) في نسخة (ق) وردت (عالماً) .

فلعلك ترقى إلى ان تصير مادتك وغذاء روحك من الفطرة الأولى ، والاشراق الأول ، فيكون لك موضعاً في الدرجات العليا ، ومنازل الابرار ، ودرجات الاخيار ، ولا تكن عائداً إلى محل البلاء ، ودار الشقاء ، عالم الكون والفساد إلى ابـــد الآبدين ، ودهر الداهرين ، وتنجو من القعود بين العقدتين المظلمتين اللتين غطتا نور الشمس ونور القمر ، إذا وافقت بقعتيهما ، وقارنتهما ، كذلك ظلمة الطبيعة الجسمانية ، والهيولانية ، والنفسانية ، إذا عرضت للنفس الناطقة النفس الغضبية كستها ، وغطت نورها عليها ، فاذا بادرت النفس الناطقة ، وسارعت إلى الاعمال الزكية ، والعلوم النافعة ، وانقادت لها النفس الغضبية ، زالت عنها الظلمة ، وانتبهت فأفاقت من السكرة ، فلا تكون مكسوفة ابداً ، ولا عائدة إلى محل البلاء ، ولا تذوق الموت ، إلا الميتة الاولى ، وانما جعل الله سبحانه وتعالى العقدتين المظلمتين في الفلك لما يحدث من كسوف القمر والشمس بهما ، وان الشمس باستقامة سيرها ، وسرعة ممرها تفارق الظلمة الكدرة ، والعقدة الوعرة ، فتظهر انوارها ، ولا يلحق بها شيء مما عبرت به ، وجازت عليه ، وتجاوزته ، كذلك ، القمر بسرعة حركة جريانه ، ومسيره في ابراجه ، وهكذا النفس الناطقة إذا فارقت ظلمة الطبيعـــة الجسمانية ، والهيولى الظلمانية ، لحقت بأنوارها ، وعادت إلى

اشراقها بشوقها إلى ذاتها ، وتذكارها مكان لذاتها الروحانية ، وفوائدها النورانية ، إذا كانت بدت من جوهر الكلمة الالهية ، ومتى غفلت عن هذا بقيت في عالم الكون والفساد والهبوط والاتحاد في عالم الأجسام ، ولما كانت النفس ذات طرفين ، طرف اعلى ، وطرف ادنى ، وجب اتصال فوائد الطرف الاعلى بالطرف الادنى ، لترقى اليه يوماً ، فيكون علواً لله ، فمتى كانت لا تقبل الفيض الاعلى ، وتخلفت عن درجة الكمال اوشكت أن تنفصل عن درجة المكان الشريف ، والطود المنيف ، وتبقى حيث ارادت واختارت ، كمن اختار طول السجن على النجاة منه .



الفصل الثامن والاربعون

اعلم ايها الأخ البار ايدك الله وايانا بروح منه ، ان القمر ذو وجهين طرف يستمد ، وطرف يمد ، فيفيض بطرفه الادنى على عالم الكون والفساد ، وهومتوسط بين ثمانية عوالم روحانية ، وثمانية جسمانية ، فيستمد من العالم الروحاني ، ويفيض على العالم الجسماني ، اما العوالم الروحانية فهي الافلاك الثمانية العالية ، واما العوالم الجسمانية فهي الاركان الاربعة ، والمتولدات الثلاث ، والانسان ، واعلم ايها الأخ ان هذا الفصل من مكنون العلوم ، (واسرار (١) الحكمة) ، وان الوقوف عليه ، والوصول اليه ، معرفة المبدأ ، والمنقلب ، وغاية الطلب ، والغرض الاقصى(٢) في رسالة مسقط النطفة ، واعلم ان الغرض هو الاخبار عن حالة النفوس البسيطة قبل تشخصها ، واتصالها بالاجسام الجزئية المحصورة الحدود بواسطة الالوان، والاشكال ، والاعراض الآخرين ، والمكوث في الرحم هذه المدة ، لتتميم البنية ، وتكميل الصورة ، وهو الكمال الجسماني الاول ، لاستكمال الآلة ، واعداد الاداة ، واستواء رباط النفس بالهيكل ،

(١) سقطت الجملة بتمامها في نسخة (م) .

(٢) في نسخة (س) وردت (الأسمى) .

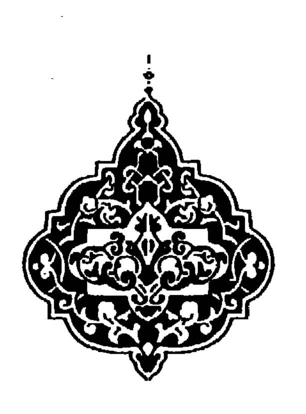
واتحادها بقواه ، وانبساطها في البنية ، وتمكنها من الجملة لتصبح كاملة الآلة ، مستعدة لقبول ما يلقى اليها ، ويتصل بها ، من العلوم العقلية ، فاذا كان الشهر الرابع من مسقط النطفة ، صار التدبير للشمس ، واستولت على المضغة قوى روحانياتها ، ونفخ فيها روح الحياة ، وسرت فيها النفس الحيوانية ، وذلك لأن الشمس رئيس الكواكب في الفلك ، ونفسها هي روح العالم بأسره ، وهي المستولية على الكائنات التي دون فلك العمر ، وبالخاصة على مواليد الأنسان ، وذلك ان جرمها في العالم بمنزلة جرم القلب في البدن ، وسائر أجرام الكواكب والافلاك بمنزلة اعضاء البدن ، ومفاصل الجسد ، وسريان قوى روحانياتها في العالم ، كسريان الحرارة الغريزية المنبثة من القلب (السارية (١) في) جميع اعضاء البدن ، واما سائر قوى روحانيات الكواكب فهي لها كالجنود ، والاعوان ، والخدم ، وكل ذلك بتقدير العزيز العليم ، واعلم انها بمسيرها في حدود الكواكب ، والبروج ، ولشدة اشراق نورها ، وسريان قوى روحانياتها ، تحط من الفلك إلى عالم الكون والفساد ، الذي تحت فلك العمر من قوى روحانيات الكواكب ، والافلاك ، والبروج في كل يوم واحد ، وساعة واحدة ، وفي كل درجة ، ودقيقة ، الواناً من التدبير غير ما في يوم آخر ، وساعة اخرى ، لا يفهم

---

(١) سقطت في نسخة (ق) وأستعيض عنها (إلى) .

البشر كنه معرفتها ، إلا من اطلعه الله عز وجل عليه من ملائكته. ورسله ، وائمة دينه ، وأولي العلم بالقسط ، واعلم ان نورها يبلغ إلى الفلك التاسع ، ويعود لا يخرق إلى ما فوقه ، لأن نورها مستمد من ذلك النور ، ولأن الجنة هناك كما قال الله تعالى :

«لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً» (١) .



(١) سورة الدهر آية (١٣) .

الفصل التاسع والاربعون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان الجنين لا يحصل له في بطن أمه سوى نفس نامية ، ونفس حيوانية حسية ، ونفس ناطقة بعد الولادة ، وان الشهر الاول يتولاه زحل ، والشهر الثاني يتولاه المشتري ، والثالث المريخ ،والرابع الشمس ، والخامس الزهرة ، والسادس عطارد ، والسابع القمر ، فان ظهر المولود في الشهر السابع عاش ، ثم في الثامن يعود التدبير لزحل فيموت المولود إذا ظهر ، وفي التاسع عند دخول الشمس البيت التاسع في موضعها ، يوم مسقط النطفة ، حيث تكون الحركة ، والسفر ، والنقلة ، والتصوير ، والوضع والولادة ، فاعلم ذلك ايها الاخ ، وتيقن (١) انه ما دامت هذه الحركة محفوظة في الفلك ، فان صورة هذه الكائنات عنها موجودة في الهيولى ، ومنها جميع الحادثات في هذا العالم ، ومتى وقف الفلك عن الدوران ، فسد النظام ، وبطل عالم الكون والفساد ، وقد قيل ان ذلك كائن لا محالة ، إذا بلغت النفس الكلية اقصى غرضها ، لأن الغرض هو غاية يسبق اليها الوهم ،

---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

ومن اجل ذلك يفعل الفاعل فعله ، فاذا بلغ اليها قطع الفعل ، واما معنى الجنة فهي العوالم الثمانية : اولها جنة الميراث ، وهي الرتبة الانسانية ، وثانيها جنة عدن ، وهي الرتبة الملكية ،وثالثها جنة الخلد ، وهي العوالم الفلكية ، ورابعها الجنة العالية ، وهي العوالم الروحانية المجردة عن العوالم الجرمانية ، وخامسها جنة الفردوس ، وهي العوالم النفسانية ، وسادسها جنة النعيم ، وهي عالم العلم ، وسابعها جنة رضوان ، وهي عالم العقل ، وثامنها جنة المأوى ، وهي عالم الامر الالهي الذي بدت منه العوالم واليه تعود ، واما درجات الجنة ، فهي مراتب العلوم في كل مقام لقوله تعالى حكاية عنهم: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ»(١) واما معنى النار ، فهي العوالم السبعة ، والمتولدات الثلاثة ، والعناصر الاربعة ، اولها لظى وهي كرة الاثير ، ثم الجحيم مركز الهواء والزمهرير ، ثم السعير مقر الماء ، ثم الهاوية مكان الغبراء ، ثم جهنم عالم الحيوان غير الانسان ، ثم سقر مرتبة النبات ، ثم سجين منزلة المعادن الاموات ودركاتها اشخاصها المهيلة ،واجرامها الكثيفة الثقيلة(٢) ، لا جعلنا الله من أهلها ، انه لطيف بالعباد ، هذا واعلم ان تأويل القيامة يأتي على اربع : الاول قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية ،والآلات

---

(١) سورة الصافات آية (١٦٤) .

(٢) سقطت في نسخة (ق) .

الجسدانية ، والثانية قيام الشرائع ، والآيات وظهور قائم الزمان ، وقيام الدور ، وبروز النفس الكلية ، لمحاسبة النفوس الجزئية ، والثالثة قيامة القيامات . وهي مفارقة النفوس باجمعها. واتصالها بعالم القدس ، ومحل الانوار ، وانقضاء مدة ساعات اليوم الكبير ، واجتماع السيارات بعد افتراقها ، في نقطة الاعتدال الاول ، بالتدوير ، والرابعة قيامة الكل بانقضاء البعثتين ، وانطباق المنطقتين ، وحصول العلم ، والقدرة للنفس في العالمين ، وبطلان الفصول ، وفقدان التفاوت في الاصول ، وخلع الهيولى لباس الصورة ، واستغناء النفس عن موجبات الضرورة واتحاد العالم بنوعه ، وأصله ، وتحقيق قوله ، وفعله ، واليه يرجع الامر كله ، فهذه معرفة القيامات فاعرفها ترشد .



الفصل الخمسون

اعلم ايها الأخ ايدك الله وايانا بروح منه ، ان النفس لما كانت من الحد الاول بالامر السابق اليه من قوة للكلمة الابداعية ، كان مبدأ الامر الاتصال بالكلمة الابداعية المبدعة ، فظهر الأول ، وترتب وجهه ، فأشرق ليكون منه وجود الموجودات ، وارتبط الاول بالاول ارتباطاً ذاتياً ، واستمر الامر بالقوة المحركة الصادرة عن السكون ، البعيدة عنه اوهام الموجودات كلها ، وانوار الله المجده بالتنزيه ، فاشرقت الانوار باشراقها. إلى قبول الامر من اعلاها ، وتسابقت فتكونت من حركاتها إلى مواضعها اللائقة بكل واحد منها ، ثم نطقت كلها بألسنة التوحيد ، والتنزيه لمبدعها ، واستقرت نظافتها في كثافتها اللائقة بها الكائنة عنها ومنها . فصارت الكثافة اماكن واجساد ، واللطافة متمكنات وارواح ، ناطقة بتوحيد الله خالقها ، واتصل بها الجود ، والافاضة مما افيض منها ، كل واحد بحسب قوته ، وطاقته (١) ، وصارت كلها ذوات اماكن ومتمكنات ، وارواح واجساد ، وتنزيه لمبدعها العظيم ، عن صفات ما هي

(١) سقطت في نسخة (ق) .

موصوفة به . وناداها ربها ، فأجابت بأجمعها ، ان لا اله إلا انت كما قال سبحانه وتعالى عن السموات والارض: «إِئتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً (١) قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين» وكانت الاشخاص السماوية، وسكان الافلاك العالية ، اسبق بالاجابة ، واقرب إلى الطاعة ، ولحقت بها الاشخاص الارضية، ولما ترتب الوجه الثاني، مما يلي مركز الارض ترتب ما دونه ، وصار هو رباً يربيه (٢) ، ويسوسه سياسة لطيفة ، فهو دائب في كماله ، حريص على جماله ، وهو دائب (٣) ابداً يسري في بروجه ، ويمر في منازله ، ويقتبس من انواره ، ما فوقه ، ويمتلىء بحسب لطافته ، ويشرق ، ويستدير ، ويحاكي الممد له ، ثم يعجز عن قبول ما ليس في وسعه ، فيؤدي ما فيه ، ويسري روحانياته ، وما يقبل من روحانيات من فوقه ، وتنحط كلها مع ملائكة الله وجنوده ، الذين لا يعلمهم إلا هو ، فيسري في الاركان : والامهات ، فتكون منها غرائب المخلوقات ، وعجائب المصنوعات ، مما هو معاين في الموجودات فذلك قبل التقريب من افهام المتعلمين للحكمة ، ان النفس ذات طرفين ، طرف اعلى يتلقى الافادة ، وانه لا ينفصل الجزئي

---

(١) سورة السجدة آية (١١) .

(٢) سقطت في نسخة (م) .

(٣) سقطت في نسخة (م) .

من الكلي ، ما دام الجزئي يقبل الفيض بحسب ما يقدر عليه ، فان دفع الفيض عن ذاته ، ومال إلى غيره ، انقطع عن الاتصال بجوهره ، واظلمت عليه طرقه (١) ، كما اظلمت عن المنقطعين عن انبياء الله ورسله (٢) لما عصوا امرهم ، وخرجوا عن طاعتهم ، والبرهان على ما ذكرناه ، والتأييد كما شرحناه في كتاب الله عز وجل حيث قال لنبيه ﷺ « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ »(٣) فشاركهم في الجسمانية ، في الطرف الادنى ، ثم قال « يُوحَىَ إِلَيَّ » فخالفهم ، وتميز عنهم بجوهره العالي ، ونفسه السامية القدسية ، التي يتلقى بها التأييدات الالهية ، ولذلك قلنا ان الطرف الاعلى ينعطف على الطرف الادنى ، حتى ينقله اليه يوماً ، وكذلك قلنا ان الاشياء كلها مما دون فلك القمر ، و من الاقل إلى دون الاتم الاكمل ، وليس ذلك بكائن في العالم الاعلى ، ومثله إذا كان ذلك بدأ في اول الامر بلازمان ، وما دون فلك القمر بترتيب يتلو بعضه بعضاً ، وكما ترتب العالم العلوي دارت افلاكه ، واشرق الوجه الثاني المؤيد من الحد الاول ، بالكمال ، والتمام ، والنور العام ، وكانت المنازل به وله ثلاثة من فوقه ، وثلاثة من تحته ، واستقام النظام ، وتم التمام ولم يكن ما دونه

(١) وردت في نسخة (س) سبله .
(٢) سقطت في نسخة (ق) .
(٣) سورة الكهف آية (١١١) .

كائناً ، لكونه ، ولو كان كذلك لم تكن بينهما مخالفة في (١) جميع الاحوال ، فالبرهان ما يكون بلا زمان ، فهو مكون لما دونه بالزمان ، وبه يكون الامر الابداعي ايضاً اولا ، ثم يكون منه الامر ، فيكون ما دونه ، فلذلك قال الله سبحانه وتعالى: «فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً» (٢) يعني انها امر من اموره سبحانه وتعالى ، وحركة كل فلك هو الزمان المتكون به ما دونه ، ولا تزال كذلك حتى تكون الارض آخر المكونات ، ثم كذلك ما بدا منها ، وليس إلى معرفة وصف الزمان الكائنة عنه الاشياء العالية بعضها عن بعض سبيل ، كوصف ما يكون بالزمان ، مما دون فلك القمر ، وانما ذلك كمثل ما يقال فلك زحل فوق فلك المشتري وهذا فوق فلك المريخ ، وجدنا ان السبق للاعلى ، والتخلف للادنى ووجدنا السابق فيما دون فلك القمر انما هو بالزمان سبق ما دونه ، فلذلك قلنا ان حركة السابق تتكون مما هو أعلى منه ولذلك قال بعض الفلاسفة في دعائه ومناجاته لباريه ، يا دهر الداهرين : وقال الرسول الحكيم : «لا تسبوا الدهر فانه الله» فأعرفه ، وتدبره ، تفز بالدنيا والدين ان شاء الله تعالى .

---

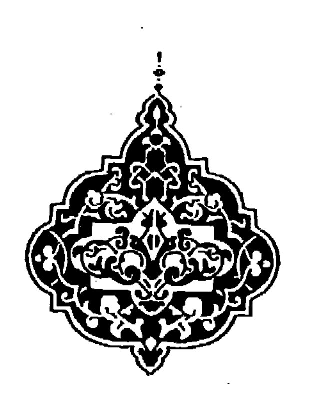
(١) في نسخة (م) وردت (إختلاف) .
(٢) سورة النازعات آية (٥) .

الفصل الواحد والخمسون

إعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه ، انه إذا كان الشهر الخامس من مسقط النطفة ، وسارت الشمس إلى البرج الخامس المسمى بيت الولد الموافقة طبيعته للبرج الذي كانت فيه يوم مسقط النطفة ، وصار التدبير للزهرة صاحبة النقش ، والتصوير واستولت على الخلقة قوى روحانياتها استتمت الخلقة ، واستكملت (١) البنية ، والنشوء ، وظهرت صورة الاعضاء ، واستبانت تقاطيع الصورة ، وبان الوجه بجميع ما فيه ، وهي يد الله سبحانه وتعالى المصورة التي قال عنها : «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ (٢) فِي الأَرْحَامِ كَيفَ يَشَاءُ» وكذلك قال عن آدم عليه السلام : انه خلقه بيده ، لقوله سبحانه : «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ(٣) لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» (٤) وهو الملك الموحى اليه بأمره ما يشاء من تصوير الخلقة ، وتتميم البنية ، وتنبت من الملائكة وجنود الله ، فيعطي الصور والنفوس كما

(١) في نسخة (س) وردت (وكملت)
(٢) سورة آل عمران آية (٦) .
(٣) سورة ص آية (٧٥) .

تنبت القوة من القلب إلى اليد فتظهر منها النقوش، والتصاوير (١) والخطوط والاشكال ، بحسب ما فيها من القوى ، وكل بأمر الله عز وجل، فافهم ذلك ايها الاخ لعلك تفوز بمعرفة روحانية هذه اليد ، وهي النعمة الشاملة لجميع خلقه لعلك تكتسب منها صورة حسنة جميلة ، ونفساً زكية ، ويكون ذلك زينة في دار المعاد، بلغك الله ذلك ، وجميع اخواننا بمنه ، وكرمه ، ان شاء الله تعالى .



---

(١) سقطت في نسخة (ق) .

الفصل الثاني والخمسون

اعلم ايها الأخ البار ايدك الله وايانا بروح منه ، ان معرفة الجن الذين لوحنا بالقول عنهم ، وأشرنا بالامثال اليهم ، ونطق الكتاب بذكرهم بالتلويح (١) ينقسمون إلى قسمين : محمودين ، ومذمومين ، فمن المحمود فاضل في مرتبته ،متناهي في فضيلته بحسب ما في قوته،وما هو لاحق به بحسب استطاعته. وما دونه ، ولذلك المذموم ما هو في غاية ذمه ، ومعصيته ، ولاحق به والمذموم من الجن ما كان لاحق بابليس وحزبه، إذ كان ابليس منهم في البداية ، وفيهم يؤخذ عنه بالنهاية ، والمحسودين منهم هم الذين استجابوا لربهم ، وآمنوا به ، وصدقوا برسله ، وانبيائه ، وائمته عليهم السلام وللرحمة ، ثم اعلم ايها الأخ ان عالم الجن هم الطائفة المخصوصة بالعلوم العقلية ، والآراء الفلسفية ، والمذاهب الربانية ، ذوات النيران والانوار اللاحقة ، والحجج القاطعة ، التي اتحدت بهم النفوس الزكية ، والارواح الطاهرة ، وهم الذين سميناهم في هذه الرسالة « جامعة الجامعة » ، وبينا عن القائم في الدلالة بقضاة الجن ، وفقهائها ، وحكامها من بني ادريس ، وبني بلقيس ،

---

(١) سقطت في نسخة (م) .

واولاد كيوان ، وبني هامان ، وآل نعمان ، وأولاد بهرام ، وبني ناهيد ، ونزيد ههنا في الدلالة عليهم ، والاشارة اليهم ، بآل بقراط ، وبني سقراط ، وآل افلاطون ، وذرية ارسطاطليس ، ومن شاكلهم من الحكماء الالهيين ، والعلماء الربانيين المخصوصين بالعلوم العقلية ، والتأييدات الفلسفية ، ومن تبعهم ، واستجاب اليهم ، وكان منقاداً اليهم ، في اوامرهم ونواهيهم ، فهم المستجنون في البقاع الطاهرة ، والمساجد العامرة ، ارواحهم خفيفة ، واجسامهم لطيفة ، يرون الانس من حيث لا يرونهم متحدون فيهم ، قادرون على أخذ ارواحهم ، وفساد اجسامهم ، لعلمهم بالمضار والمنافع ، وان الانس محتاجون اليهم في جميع احوالهم ، من مآكلهم ، ومشاربهم ، إذا كانوا من اصحاب الصنائع الجليلة ، والمنافع الجمة ، ولذلك قيل ان جميع اعمال الانس تعلماً من الجن ، إذا دلتهم عليها ، واخرجتها اليهم ، ونصبتها لهم ، وقد لوحنا في هذا القول ، ودللنا بهذا الكلام ، على معرفة الجن المحمودين ، ليعرفه من كان له قلب ، والقى السمع وهو شهيد ، ثم اعلم ان المحمودين من الجن هم الذين آمنوا بالرسول المبعوث من الانس ، واستجابوا للنطقاء ، والائمة المؤيدين ، بالوحي من السماء كما ذكر الله عز وجل بقوله حكاية عن طائفة منهم انهم

قالوا : « إنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ، يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَداً »[1] . ويقول عنهم « وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرْساً شَدِيداً وَشُهُباً ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مقاعِدَ لِلسَّمَعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَدا »[2] والحمد لله رب العالمين .

تمت رسالة جامعة الجامعة أو زبدة اخوان
الصفاء وخلان الوفاء ذوي البصائر وأهل
السرائر وأولو النهي وأصحاب
الحمد بحمد الله وعونه .

(١) سورة الجن آية (١ و ٢) .
(٢) سورة الجن آية (٨ و ٩) .



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

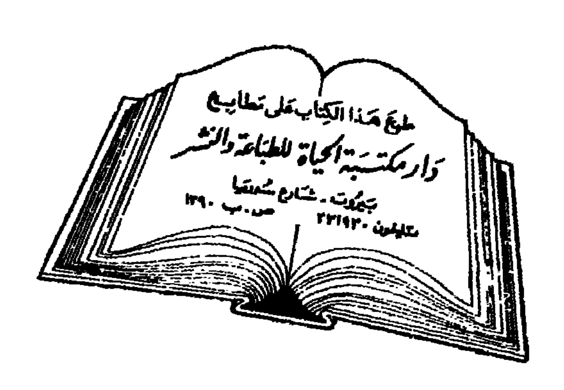
محتويات الكتاب

(فهرس)

صفحة

صفحة

صفحة


طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوريا
ص.ب ١٣٩٠
تلفون ٢٣١٩٣٠




المكتب العالمي
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان